

السنة التاسعة عشرة العدد 198
رجب 1447 هـ - 2025 م - 2026 م

العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE

العلوية

مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية





حدث في مثل هذا الشهر

أبرز الأحداث التاريخية لشهر رجب

- الأول منه ولادة الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام سنة ٥٧هـ.
- الثاني منه ولادة الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام سنة ٢١٢هـ.
- الثالث منه غزوة تبوك سنة ٩هـ..
- الثالث منه شهادة الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام سنة ٢٤٥هـ.
- العاشر منه ولادة الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام سنة ١٩٥هـ.
- الثاني عشر منه دخول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة واتخاذها مقراً للخلافة سنة ٣٦هـ.
- الثالث عشر منه ولادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٢٣هـ قبل الهجرة.
- الخامس عشر منه تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة سنة ٢هـ.
- الخامس عشر منه وفاة السيدة زينب بنت الإمام علي عليه السلام سنة ٦٢هـ.
- الرابع والعشرون منه فتح خيبر على يد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة ٧هـ.
- الخامس والعشرون منه شهادة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سنة ١٨٣هـ.
- السابع والعشرون منه بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله سنة ١٣هـ قبل الهجرة



المشرف العام	السيد عيسى الخрсان
رئيس التحرير	د. محسن عبد العظيم الخاقاني
مدير التحرير	د. حسين فاضل الحكيم
سكرتير التحرير	هشام أموري السماك
المحررون	هاشم محمد الباجي حيدر رزاق الكعبي عبد الحسن هادي الشافعي حمود حسين الصراف رياض مجيد الخزرجي
التصحيح اللغوي	د. ستار عبد الله العيداني
السلامة الفكرية	فاروق أبو العبرة
توليد الصور	حسين علاء التميمي
التصميم والخراج	حيدر حميد الكريطي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1121) للعام 2008م
رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين العراقيين (744)
alwelayh.com - info@alwelayh.com - 07700553150

سبائك النور وإيوان الذهب

السيد عيسى الخرسان
الأمين العام



إن هذا اليوم يومٌ حميدٌ وشكر، وتبَّلت وابتهال، يومٌ إظهار نعمةٍ من نعم الله تعالى، إذ يفتتح هذا الإيوان الذهبي المبارك، في مدخل مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ذلك المقام الذي شُرف بشرفِ المنتسب، وتعاضلَ بعظمةِ المنسوب، فصار مهوى أفئدة المؤمنين وموضع حاجات المهوفين، ومحط رحال الطالبين.

وأن ما أنجز في هذا الإيوان من إتقان الصنعة، وإحكام البناء، وجمال العمارة، لا يُراد به الزينة بعينها، ولا يُقصد به التفاخر لذاته، وإنما هو مظهرٌ من مظاهر تعظيم الشخصية، التي قال تعالى فيها: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]

وتعظيم هذا الموضع إنما هو تعظيمٌ لمن قال في وصف ربه: "تجلى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه"، فكان هو عليه السلام المظهر الأكمل لهذا التجلي علماً وعدلاً وحكمة.

إن هذا الإيوان المذهب، وإن بدا في ظاهره عمارة صامتة، فإنه في حقيقته لسانٌ ناطق، بأن كل ما يقام على عتبة علي عليه السلام، هو في خدمة منهجه ومحجته، وعرفان من محبيه لشخصه، فإنه عليه السلام قال: "والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني إليها".

وهنا، حيث يعبرُ الزائر تحت هذا الإيوان، لا ينبغي له أن يقف عند حد المشهد دون الشاهد، فإن هذا مقامٌ تحفه الألطاف الإلهية، وتطوفه الملائكة الكروية، إنه مقام العبد الزاهد الصالح، الذي قال: "ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، لا يطعم الفلذة في حويله، إلا في يوم أضحيت"، فتتنفس العدل بعزمه، وتنامت أرومته بجهاده، وتفرغت أغصانه بزهد، فكان المانع لذاته الباذل في ذات ربه، الأثر على نفسه المعطي لغيره.

وقد علمنا أمير المؤمنين عليه السلام: "إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بضعفة الناس"، فكان هذا المشهد الشريف شاهداً على عظمه هذا الرجل الأثري، الذي وتر الدنيا وطلقها ثلاثاً.

وإن افتتاح هذا الإيوان المبارك، بوصفه آيةً من آيات الدهر، تجلت فيها يد الساء التي بادرت إلى افتتاحه قبل أيدي أهل الأرض، وقوساً ذهبياً تنطق سبائكها بما قاله أمير المؤمنين عليه السلام، "كونوا دعاءً لنا بغير ألسنتكم"، فإننا نتقدم بعظيم الشكر وموفور الامتنان، للطواقم الفنية والإدارية، في ورشة الذهب وكل الأقسام ذات العلاقة، التي واصلت الليل بالنهار، وسعت سعي المحبين والمخلصين، في أن يظهر هذا الإيوان بهذه الحلة القشبية.

نسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل قبولاً حسناً، ويسرَّ به فؤاد صاحب العصر والزمان، عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأن يجعله في ميزان حسنات القائمين عليه، وأن يوفق الجميع لخدمة هذا المقام الشريف، وزائريه الكرام، وأن يرزقنا وإياكم الثبات على ولاية أمير المؤمنين، والسير على نهجه، والوقوف عند حدوده، إنه سميع مجيب.

٣٢

حتى يتفقهوا

٢٤

الكلم الطيب

٨

ملف العدد

٥٨

الصراط المستقيم

٤٦

بلسان علويّ مُبين

٤٠

مع الحق

٦٨

قُرّة الأعين

٧٦

ببليوغرافيا العلوم



١٠٤

حوار العدد

٩٢

الشرق والغرب

٨٦

شؤون دولية

١١٤

أروقة الحرم

١٠٨

يراع العلماء



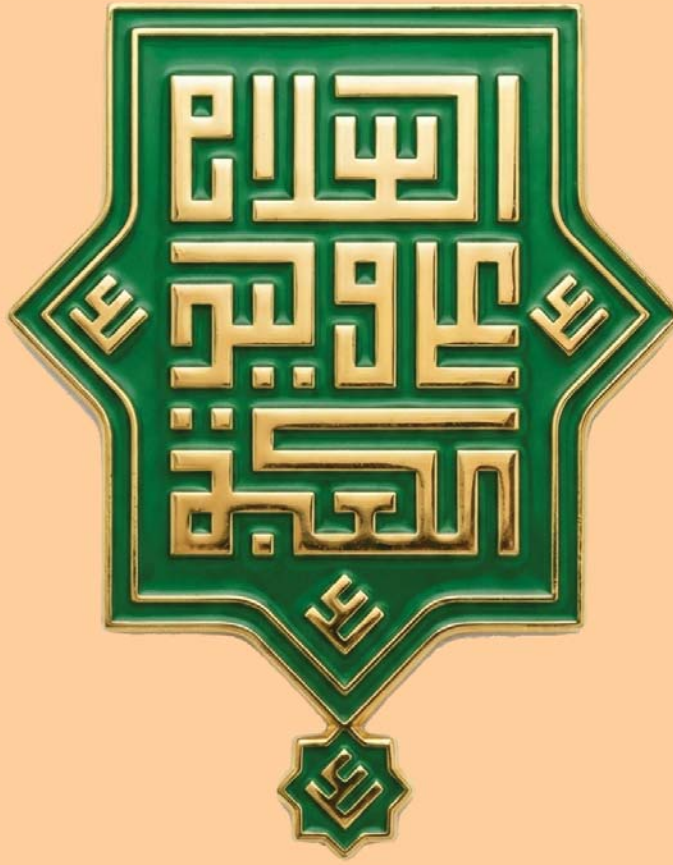
ملف العدد

الشيخ حسين علاء الخاقاني
الحوزة العلمية/ النجف الأشرف

■ الاصطفاء التكويني في مَهْد الطُّهر
عليَّ عليه السلام العهد المحفُّور في جِدار
النور.. في منطق الضرورة التكوينية

د. كريم جهاد الحسّاني
مديرية الوقف الشيعي
في النجف الأشرف

■ ولادة الإمام علي عليه السلام في الكعبة
المشرفة بين الرّواية الإسلامية
والقراءة الاستشراقية
- دراسة تحليلية-



الاصطفاء التكويني في مهد الطهر عليه السلام العهد المحفور في جدار النور.. في منطق الضرورة التكوينية

الشيخ حسنين علاء الحاقاني
الحوزة العلمية/ النجف الأشرف

المحور الأول: الولادة الاصطفائية (في مهد الطهر) وأثرها في تأسيس التأويل القرآني.

تتألق ذكرى ميلاد أمير المؤمنين وسيد الوصيين في جوف الكعبة، فتنتطق أركان البيت العتيق بـ اصطفاءٍ تكوينيٍّ أزليٍّ، جعل عليّاً عليه السلام متفرداً في العظمة والمحل، هذه المنقبة الإلهية العليا، استكملتها طهارة الوحي، وجبر النبوة الشريف، التي فُصِّلَتْ في آية التطهير الجليلة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [النساء: ٣٣].

ولهذا السمو المركب، عُدَّ وليد الحرمين المنبع الأصيل لعلوم القرآن، فهو حامل سر التأويل، ووارث علم التنزيل، واللسان الناطق الذي فصل محكمه ومتشابهه، الذي لا يضلّ طالب الهداية في رحابه، وبهذا نصّ شريف وارد عنه عليه السلام قال: ((كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَجَابَنِي، وَإِنْ فُئِيتُ مَسَائِلِي ابْتِدَأَنِي، فَمَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَةٌ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةٍ وَلَا جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ وَلَا سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا ضِيَاءٍ وَلَا ظِلْمَةٍ إِلَّا أَقْرَأَنِيهَا وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ، وَكَتَبَتْهَا بِيَدَيَّ وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا وَمَحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا وَخَاصَّهَا وَعَامَهَا، وَكَيْفَ نَزَلَتْ وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَفِيمَنْ أُنْزِلَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...))^(١).

المحور الثاني: تحليل الواقع الاجتماعي والبيئة الجاهلية وإثبات الولادة في الكعبة كانت تطهيراً مسبقاً.

الكعبة كانت تمثل الفضاء المعاري الوحيد، الذي تُلغى فيه كل الحسابات القبلية؛ فهي نقطة الصفر التي تمثل التوحيد الخالص، والانتماء لله وحده، وقد وصفها العهد القديم في سفر المزامير: ((فيها بيت الرب، وهي أماكن تشتاق بل تتوق إليها النفوس، وتهتف فيها القلوب بالإله الحي، وَيُسَبِّحُ اللَّهُ فِيهَا، وبها وإد اسمه بكّة، وهي أماكن جافة قربها خيام ينبع فيها ينبوع، واليوم فيها خير ألف يوم))^(٢).

ولادته ﷺ هناك كانت إيذاناً من الله عن تفرد في أقدس بقعة؛ كأنها تقول: هذا الوليد لن ينتمي إلى بيوت العشائر المتنافسة! بل سيعتصم إلى بيت الله ذاته، لذا فقد جاءت الولادة في قلب البيت المحرّر،

الكعبة، والعظمة في هذه الولادة تتضح عندما نتأمل سياقها الجغرافي والاجتماعي، فمكة قبل الإسلام كانت مسرحاً للصراع الدائم، والقيادة فيها تُوزع بالدم، والاجتهاد المتفوّت، ولقد أقرّ المغيرة بن شعبة بهذا الأمر عند يزدجر فقال: ((ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، وأن يبغى بعضنا على بعض))^(٣)، إذ كانت البيوت والقبائل تمثل مراكز الرأي القائم على نفوذ القوة، ولقد وقف جعفر بن أبي طالب عليه السلام لما دخل على النجاشي وسأله عن حالهم فقال: ((كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف))^(٤).

في ظل هذا الجو المشحون بالعصبية، حتى للصنم الذي لا ينفعهم ولا يضرهم، فقد ورد ((أَنَّ أَبَا أُمَيْمَةَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ مَرَضَ مَرَضاً شَدِيداً، فَعَادَهُ أَبُو هُبَيْرٍ فَرَأَاهُ يَبْكِي، قَالَ لَهُ أَبُو هُبَيْرٍ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا أُمَيْمَةَ؟ أَمِنْ الْمَوْتِ تَبْكِي وَلَا بَدَمِنْهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الْعِزَّى بَعْدِي، فَقَالَ أَبُو هُبَيْرٍ: وَاللَّهِ مَا عُبدت في حياتك لأجلك، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك، فقال أبو أُمَيْمَةَ الآن علمتُ أَنَّ لِي خَلِيفَةً، إعجاباً منه بأبي هُبَيْرٍ في شدة تعصبه لها))^(٥).

من هنا فإن الولادة في جوف الحرم تطهيراً مسبقاً للوعاء؛ فمن غير المنطقي أن يُسلم مفتاح علم (التأويل) وغاياته الكبرى، إلى شخصية لم تُهَيِّأَ بطهارة تكوينية، تجعلها مُتحررة كلياً من شوائب البيئة والاجتهادات الشخصية، فالولادة إذن هي الختم الإلهي، على أن هذا الوعاء يستحق أن يكون مُحْكَمًا؛ لأن دائرة "الاصطفاء التكويني في مهّد الطهر" أحاطته، وكانت حاضنة له.

يكون الامتداد المعرفي الضامن لاستمرار الرسالة، التي من أجلها جاءت حادثة غدير خم المتواترة لفظاً وبسند صحيح ورواها الفريقان، إذ قال النبي ﷺ: ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه))^(٧)، ويبقى سر عدم ذكر القرآن الكريم لحادثة الولادة تتمحور في القيادة بوصفها (قانوناً) لا بوصفها (قصة)؛ لذا ركّز القرآن على الوظيفة (القانون الكُلِّي لهذا الوليد)، وتأكدت في آيات الولاية^(٨)، والتطهير^(٩)، نعم، القرآن ترك الولادة (الحادثة الجزئية) لتكون الشاهد الكوني المضيء، الذي تتناقله الروايات، وتدرّكه البصائر على القانون الكلي، وأعني به وظيفة الإمام المنصوصة، التي ستلي النبوة.

إنَّ الولادة في الكعبة هو عين الاصطفاء التكويني، الذي يمثل العهد بين الله والإمام، أما الآيات النازلة في شأنه (من ولاية وتطهير) فهي الإعلان التشريعي العام لهذا العهد، فلقد ورد عن سماعة بن مهران عن الصادق ﷺ، وداوود النجار عن الإمام الكاظم ﷺ عن مقصود العهد في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الاسراء: ٣٤] قالوا: العهد الذي يجب الوفاء به هو عهد الإمامة^(١٠)، وفي هذا السياق نفهم معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] فالإمامة عهد عهده الله لأمة النبي ﷺ، وعليها الوفاء به، إذن الولادة هي الاصطفاء التكويني، الذي يُؤسّس إلى ولاية الإمام على الناس. وبناءً على ما تقدّم لا يجب أن يختزل حدث الولادة فيكون نهاية لموسم قصصي، بل ينبغي أن يكون

المحور الثالث: التأكيد على أنَّ الطهارة التكوينية المبكرة هي ضمان الصيانة من الزلل المعرفي لاحقاً. التساؤل المنطقي المعزّز: إذا كانت وظيفة القيادة بعد النبي ﷺ تتطلب حفظاً مُعصوماً يمتد إلى غايات التشريع ومآلاته إلى يوم القيامة، فهل كان من الممكن أن يُعهد بهذه الأمانة إلى شخصية نشأت نشأة تقليدية؟ الإجابة المنطقية هي لا، فـ"استحالة النسيان" هي النتيجة الحتمية لـ"الطهارة التكوينية" المبكرة، التي بدأ اصطفاؤها في مَهْد الطُّهَر؛ لذا فإن المدد الغيبي كان من وراء هذا الوليد، يزداد على ذلك دعاء النبي الأكرم ﷺ له بالصيانة من النسيان، فقد ورد عنه ﷺ يقرر دعاء النبي الأكرم له قائلاً: ((دعا الله لي أن يعطيني فهمًا وحفظًا فما نسيْتُ آية من كتاب الله))^(١١) وكأنَّ الكعبة، التي صانت جسده عند الميلاد، كانت تُعلن أنَّ هذا الجسد يحمل عقلًا ووعاءً سيُصان عن الزلل المعرفي لاحقاً، وأن الولادة هي الإذن الإلهي على طهارة الوعاء.

المحور الرابع: السبب في عدم التركيز على الولادة في القرآن الكريم، والربط بينها وبين العهد الإلهي والوظيفة القانونية لخط الإمامة.

يبقى السؤال الأكثر إثارة للإبهام: إذا كانت هذه الولادة بهذه العظمة، فلماذا لم تُذكر تفاصيلها الصريحة في القرآن الكريم؟

القرآن بوصفه كتاب هداية وتشريع، يتعامل مع الإمام علي ﷺ بوصفه قانوناً حياً ومنهاجاً مُستداماً لخط النبوة، وليس بوصفه حادثة سيرة عابرة، إذ لا يُختزل الإمام في قصة ميلاد؛ ذلك لأن مسؤوليته أجل من ذلك، فمسؤولية الإمام علي ﷺ هي أن

مُسْتَهْلًا لـ "قراءة وظيفية" تُحرّر الحدث من كونه فضيلة فردية عابرة إلى ضرورة تكوينية في مشروع الرسالة الإلهية، لذا لم تكن الولادة في أقدس بقعة على وجه الأرض مجرد كرامة ترفع مقام شخص، بل كانت صكّ تأسيس مُبرّمًا، واصطفاءً تكوينيًا من أنّ أنموذج القيادة التي تعقب النبوة يجب أن تحظى باصطفاء من الله ﷻ.

فنسألك يا رب أن تنير بصائرنا بنور الولاية الحقة، وأن تثبت أقدامنا على صراط الهداية واليقين، اللهم اجعلنا من المتمسكين بحبلهم، والسائرين على نهجهم، والمصطفين لخدمة دينك، ببركة اصطفائهم، اللهم ارزقنا في الدنيا زيارة علي أمير المؤمنين ﷺ، وفي الآخرة شفاعته، واجمعنا به وبأوليائك الصالحين في عليين، برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

١. أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد: ١/ب ٨ / ١٩٨.
٢. العهد القديم: سفر المزامير، المزمور ٤٨/ ٥-١٠.
٣. ابن كثير، البداية والنهاية: ٧/ ٤٨.
٤. ابن هشام، السيرة النبوية: ١/ ٢٢٣.
٥. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الاسلام: ٢/ ٦٨٥.
٦. المجلسي، بحار الانوار: ٤٠/ ١٣٩.
٧. ابن كثير، البداية والنهاية: ٥/ ٢٢٨.
٨. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، [المائدة: ٥٥] ذهب المفسرون والعلماء من الفريقين، إلى أنها نزلت في حق الإمام عليّ ﷺ، حينما تصدّق بخاتمه في أثناء الصلاة، ودلالة الآية الكريمة على ولاية الإمام عليّ ﷺ واضحة، بعد أن قرنها الله تعالى بولايته وولاية الرسول ﷺ، ومعلوم أنّ ولايتهما عامّة، والرسول ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فكذلك ولاية الإمام عليّ ﷺ بحكم المقارنة، انظر: شواهد التنزيل ١: ٢١٩ حديث ٢٢٧، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٥٧، أنساب الأشراف: ١٥٠ حديث ١٥١، تفسير الطبري ٦: ٣٨٨، الصواعق المحرقة ٤: ١٠٤.
٩. قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [النساء: ٣٣]، ففي صحيح مسلم بالإسناد إلى صفية بنت شيبة قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرطٌ كساء صوف {مرخل} ضرب من برود اليمن [من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ صحيح مسلم: ٤/ ١٨٨٣ حديث: ٢٤٢٤.
١٠. الصدوق، الأمالي: ١/ ب ٦٦ ح ٤٤٠٠٥٣ / ص ٤٢٢، والمجلسي، بحار الانوار: ٢٤/ ب ٥٢ ح ٢٣٣٩٤٢ / ١٨٧.



ولادة الإمام علي عليه السلام في الكعبة المشرفة بين الرّواية الإسلامية والقراءة الاستشرافية

– دراسة تحليلية –

د. كريم جهاد الحساني
مديرية الوقف الشيعي
في النجف الأشرف

تُمثّل قضية ولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في جوف الكعبة، إحدى المحطات التي اختلفت حولها الرؤى بين الإيمان بالغيب والمرويات التاريخية الإسلامية من جهة، فضلاً عن المنهج النقدي والمنهج النقدي الذي تبناه عدد من المستشرقين في قراءة النصوص الإسلامية، وذلك الاختلاف يُنتج لنا روايتين مُتباينتين لحدثٍ تأسيسٍ في التاريخ الإسلامي.

ولادته على الإطلاق، أمّا الإشارة إلى هذه الولادة المحددة داخل الكعبة، فقد بدأت تظهر في مصادرهم منذ القرن الرابع الهجري، وهو ما سنتطرق إليه لاحقاً.

أمّا في كتب الحديث المعتمدة عند الشيعة، فقد وردت روايات ولادته ﷺ في جوف الكعبة المشرفة بطرق وأساليب متعددة، تبلغ حدّ التواتر المعنوي لدى علمائهم، إذ رواه محدث الإمامية الشيخ الصدوق في كتبه، قائلاً: ((حدثنا علي بن أحمد بن موسى الدقاق، قال: حدثنا محمد بن جعفر الأسدي، قال: حدثنا موسى بن عمران، عن الحسين بن يزيد، عن محمد بن سنان، عن الفضل بن عمر، عن ثابت بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: قال يزيد بن قعنب: كنتُ جالساً مع العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وفريق من بنى عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ﷺ وكانت حاملاً به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق فقالت: يا رب إني مؤمنة بك، وبها جاء من عندك من رُسل وكُتب، وإني مُصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل ﷺ، وأنتُ بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، والمولود الذي في بطني إلّا ما يسّرت عليّ ولادتي. قال يزيد بن قعنب: فرأيتُ البيت قد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب! فلم يفتح، فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالى، ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين ﷺ، ثم قالت: إني فضّلتُ على من تقدّمني من النساء، لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله سرّاً في موضع لا يحب الله أن يُعبد فيه إلّا اضطراباً، وإنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رُطباً جنيّاً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلتُ من ثمار الجنة وأرزاقها، فلمّا أردتُ أن أخرج هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة، سمّيه عليّاً، فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: إني شققتُ اسمه من اسمي، وأدبته بأدي، وأوقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويُقدّسني ويُمجّدني،

وتنبُع أهمية هذه الدراسة من أهمية الشخصية مدار البحث، ألا وهي شخصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ التي احتلت مركزاً في الفكر الاسلامي باختلاف مذاهبه، كما تكمن أهميتها في تحليل آليات اشتغال المنهج الاستشراقي على النصوص الاسلامية وتفكيكها، وتهدف تلك الدراسة إلى تحقيق رصد وتوثيق الرواية الإسلامية لولادة الامام علي ﷺ من خلال المصادر الأساسية (أبناء الجمهور والشيعة)، فضلاً عن القراءات الاستشراقية للحدث نفسه، وفهم الأسس المنهجية التي انطلقت منها، ومن ثم إجراء مقارنة نقدية بين الرؤيتين للكشف عن نقاط الالتقاء والافتراق، وقد اعتمدنا في البحث على المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي النقدي في فحص هذه الروايات وتبويبها، وفحص المناهج المستخدمة في قراءتها.

الرواية الإسلامية لولادة الإمام علي ﷺ:

تبرز قضية مولد الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في جوف الكعبة المشرفة، كواحدة من تلك الروايات الاستثنائية التي حظيت بمكانة فريدة في التراث الإسلامي، فهذه الحادثة ليست مجرد واقعة تاريخية عابرة، بل هي حدث ذو دلالة عميقة، اختصّ الله به أمير المؤمنين ﷺ من بين جميع الخلق، ممّا يجعلها محط أنظار الباحثين وهدفاً للدراسة والتحقيق.

وإذا كان المنهج الأكاديمي يقتضي التمهيص والتدقيق في الأخبار، فإنّ هذه الواقعة قدّمت نفسها كحالة دراسية مثالية، إذ اجتمعت كلمة الرواة والمؤرخين من مختلف المذاهب الإسلامية على ثبوتها ونقلها، عبر القرون، بأسانيد متعددة وطرق متواترة معنوياً⁽¹⁾، فهي من المناقب التي استقرّ الإجماع على روايتها، ممّا يُضفي عليها صبغة القوة والثبوت التي نادراً ما تتحقق في كثير من الأحداث التاريخية.

ففي كتب الحديث المعتمدة المبكرة للإسلام (خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة) عند أهل السنة والجماعة، لم ترد رواية تذكر تفاصيل ولادة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ داخل الكعبة، كما لم يتطرّق أصحاب هذه المصادر إلى تحديد مكان

تبرز قضية مولد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في جوف الكعبة المشرفة، كواحدة من تلك الروايات الاستثنائية التي حظيت بمكانة فريدة في التراث الإسلامي.

الأميني (ت ١٣٨٩ هـ)، بقوله: ((وهذه حقيقة ناصعة أصفق على إثباتها الفريقان، وتضافرت بها الأحاديث، وطفحت بها الكتب، فلا نعبأ بجبلية رماة القول على عواهنه بعد نص جمع من أعلام الفريقين على تواتر حديث هذه الأثرية))^(١).

وقد أجمع الباحثون^(٢) حول تاريخ ظهور ذكر ولادته عليه السلام الشريفة في جوف الكعبة في مصادر أهل السنة والجماعة إلى أن ذكر أول خبر صريح جاء في القرن الرابع الهجري على لسان الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ) في باب مناقب حكيم بن حزام^(٣)، عن مصعب بن عبد الله: أن أم حكيم ولدت في الكعبة، ضربها المخاض وهي في جوفها، ولم يولد قبله ولا بعده في الكعبة أحد. قال الحاكم: وهم مصعب في الحرف الأخير، وقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين (كرم الله وجهه) في جوف الكعبة^(٤).

وقد وافقه على ذلك كبار علماء أهل السنة والجماعة قبل الألف الهجرية وبعدها من العصور الحديثة والمعاصرة، منهم: الشهير ابن سبط الجوزي (ت: ٦٥٤ هـ)^(٥)، والكنجي الشافعي (ت: ٦٥٨ هـ)^(٦)، وبرهان الدين الحلبي (ت: ٩٧٥ هـ) صاحب السيرة الحلبية^(٧)، والشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم المحدث الدهلوي (ت: ١١٧٩ هـ)^(٨)، ومفتي بغداد أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسي (ت: ١٢٧٠ هـ)^(٩).

ومجد المتبّع هذا الفضل لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام من المسلم به في مصادر عديدة من مصادر القوم ذكرها الشيخ الأميني في كتابه الغدير^(١٠)، أما مصادر أعلام الشيعة فقد أجمعت على

فظوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه^(١١). وذكره الطبري^(١٢) بزيادة في السند، قائلاً: ((أخبرنا الرئيس الزاهد العابد العالم أبو محمد الحسن بن الحسين بن الحسن في الري سنة عشر وخمسائة، عن عمه محمد بن الحسن، عن أبيه الحسن بن الحسين، عن عمه الشيخ السعيد أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، قال: حدثني علي بن أحمد بن موسى الدقاق، قال: حدثنا محمد بن جعفر الأسدي، قال: حدثنا موسى بن عمران، عن الحسين بن يزيد، عن محمد بن سنان، عن الفضل بن عمر، عن ثابت بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: قال: يزيد بن قعنب))... وذكر الحديث بطوله. أمّا الشيخ الطوسي فقد أورده بثلاثة طرق^(١٣)، وينفرد ابن شهر آشوب (ت: ٥٨٨ هـ) بنقل رواية الولادة عن يزيد بن قعنب، وجابر الأنصاري طويلة الذيل بمضامين مختلفة^(١٤).

مصادر الفريقين في الولادة:

إن مسألة مولد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في جوف الكعبة قد حظيت باهتمام بالغ في المدونات التاريخية والحديثية عند الفريقين، واستقرت مكانة هذه الرواية في التراث الإسلامي بتداول عدد واسع من النقولات التي اجتمعت على ذكر هذه الحادثة، إذ تكرر ذكرها في مصنفات أكابر علماء السيرة والأنساب والتاريخ من مختلف المذاهب الإسلامية؛ فإن كان النظر في الأسانيد والبحث في شروط التواتر من الضوابط الأساسية في تقييم الأحاديث النبوية - لاسيما ما تعلّق منها بالأحكام الشرعية - لذا فإن المنهجية العلمية في التعامل مع الروايات التاريخية تتسع فيها دائرة النقل بما قد لا يرقى إلى تلك الدرجة من التوثيق، مع الاعتماد على تعدد الطرق وكثرة المصادر كمعيار لتحقيق القيمة التاريخية للخبر.

وعليه، فقد تواتر ذكر هذه الواقعة في المصادر الإسلامية عبر القرون، وشكلت إجماعاً تراثياً لدى العديد من أعلام المؤرخين والمحدثين، مما يجعلها تحتل مكاناً مهماً في الاستدكار التاريخي، بغض النظر عن الخلاف في حجّيتها الشرعية أو درجة صحتها الحديثية، وهذا ما أكد عليه العلامة

العميقة في مناهج البحث الاستشراقي نفسه، وقد أوردناه على اتجاهات ثلاثة:

أولاً: الاتجاه المُشكِّك: لقد انساقَ بعض المستشرقين إلى إثارة الشكوك حول الشخصيات المُختارة من أئمة أهل البيت (عليه السلام) ابتداءً من النبي الأعظم محمد (عليه السلام)، وانتهاءً بالإمام المهدي (عليه السلام)، إذ جعلوا الانتقاد والإسقاط المادي والتشويه بطريقة مُغرضة وهادفة إلى ما يصبون إليه من نتائج عكسية ترجع على الأب الروحي لهذا البيت الطاهر وهو النبي محمد (عليه السلام)، ووجدوا في موضوعه ميداناً يجنون فيه ليشفوا رغبةً في صدورهم من أن الشك فيه يعني الشك بكل ما يتصل به من ذريته وأهل بيته (عليه السلام)؛ لذا فإنَّ من أبرز الثغرات التي تُمنى بها مناهج المستشرقين هو عدم قدرتها على تمثُّل واستيعاب التجربة الروحية العميقة عن سيرة أهل البيت (عليه السلام)، ذلك أنَّ هذه المناهج لا تقوم على أساس متوازٍ ينظر إلى القيم الروحية والمادية كعوامل فعالة مُشتركة في صنع التاريخ، بل إنها تسعى إلى ترجيح الجانب المادي وتقليل مساحة المؤثرات الروحية في حركة التاريخ وصورته وقائعه، وربما طمسها وإنكارها أساساً، ومن أمثال هؤلاء الفرنسي (هنري لامنس Henri Lammens)، إذ لا يناقش (لامنس) قصة الولادة في الكعبة كحادثة منفصلة، لأنَّه يعدُّها من الأساس غير قابلة للنقاش علمياً، بل يذكرها كمثال ضمن حزمة من «الأساطير» التي اخترعها الشيعة لتمجيد علي ومواجهة البروباغندا الأموية (التي حاولت تشويهه فيقدم لنا في إحدى مقالاته نظريته المركزية التي جسَّدَ فيها بأنَّ الصورة المثالية للإمام علي (عليه السلام) وكل الفضائل والمعجزات المنسوبة إليه (مثل الولادة في الكعبة) هي من صنع (البروباغندا الشيعية la propagande shiite المتأخرة..، قائلاً: (لقد عملت البروباغندا الشيعية، كرد فعل، على خلق أسطورة مُضادة، لقد حولت علياً إلى بطل لا يشق له غبار، ورجل معصوم، وأول من آمن، وطفل ولد في الحرم المكي (أو حتى في جوف

ذكر ولادته (عليه أفضل الصلاة والسلام) في جوف الكعبة، وقد خصَّصَ الشيخ الأوردبادي لهذه المسألة كتاباً ضخماً، استوفى المصادر فلم يترك شاردةً ولا واردةً إلا أحصاها^(١٦)، ابتداءً من الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، ومن خلال البحث تبين أنَّ الإسناد لهذه الحادثة يتعدَّى القرون المتأخرة، إذ توجد شواهد على ذكرها في مصادر التدوين الأدبية المبكرة، إذ ذكرها الشاعر الحميري (ت: ١٧٣هـ) في قصيدته، قائلاً:

ولدتُهُ في حرم الإله وأمنه

والبيت حيثُ فناؤه والمسجدُ

بيضاءً طاهرةً الثيابِ كريمةً

طابت وطاب وليدُها والمولدُ^(١٧)

القراءة الاستشراقية لولادة الإمام علي (عليه السلام):

تُشكِّل قضية ولادة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) داخل جوف الكعبة المشرفة حدثاً استثنائياً في التاريخ الإسلامي، لم تحظْ بمثلته بأي شخصية أخرى، ممَّا منحها بُعداً قدسياً في التراث الإسلامي الشيعي والسني، وعندما تتبَّع الباحث موقف المستشرقين من الحادثة تلك، وجد نفسه أمام مشهد فكري متباين، يكشف عن انقسام حاد في المنهج والرؤية، ولا يمكن عدَّ هذا الانقسام مجرد اختلاف في تقييم صحة الرواية التاريخية فحسب، بل هو انعكاس لأعمق الإشكاليات المنهجية التي واجهت حقلاً الدراسات الاستشراقية، المتمثلة في التعامل مع المرويات الدينية والتاريخية الإسلامية.

لذا قصدت هذه الدراسة لتحليل القراءة الاستشراقية لولادة الإمام علي (عليه السلام) في جوف الكعبة، وذلك بالكشف عن ملامح هذا الانقسام، ورصد الأسس المنهجية والفكرية التي يقوم عليها كلُّ تيار، ولنتقَّف عند تحليل الحُجج التي ساقها التيار المُشكِّك نقدياً، فضلاً عن محاولات التيار الموضوعي لفهم الظاهرة في إطارها الحضاري، ساعيةً إلى تقديم رؤية متكاملة تُظهر كيف يجوز لحدثٍ واحدٍ أن يكون مؤشراً على التباينات

تُشكّل قضية ولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام داخل جوف الكعبة المشرفة حدثاً استثنائياً في التاريخ الإسلامي، لم تحظ مثيلته بأي شخصية أخرى، ممّا منحها بُعداً قدسياً في التراث الإسلامي الشيعي والسني.

تخدم الرؤية العقائدية لمذاهب إسلامية معينة.

ثانياً: الاتجاه الغلوي: ويقصد به ذلك التوجه الذي يتجاوز حدود النقد العلمي الموضوعي إلى الإنكار المطلق للمرويات التاريخية ذات البعد الغيبي؛ إذ يُصنّف الأمريكي (ماتي موسى Matti, Moosa) في مؤلفه «الشيعية المتطرفون»^(٢٠) رواية ولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام داخل الكعبة ضمن إطار الصفات الإعجازية ذات الطابع مغالي به. غير أنّ هذا التصنيف يتضمن خلطاً منهجياً بين مفهوم «الغلو» الديني، الذي يعني تجاوز الحدود الشرعية إلى حدّ الادّعاء بالألوهية أو النبوة، وبين الاعتقادات التقليدية للشيعية الإمامية التي تتبنى مفهوم «الكرامة» للأئمة عليهم السلام.

فحسب المنظور الإمامي، أنّ الرواية لا تحتوي - من حيث المضمون - على عناصر غلو إذا قُصد منها إبراز الكرامة الإلهية التي لا تتصادم مع خصائص الذات الإلهية أو تنازعها في صفاتها. إذ يُعدّ حدث الولادة في جوف الكعبة ذا دلالة رمزية عميقة تهدف إلى إضفاء هالة من القدسية والشرعية السماوية على شخصية الإمام علي عليه السلام ومكانته، وترسيخ فكرة أنّ اختيار الأئمة عليهم السلام هو بتعيين إلهي، وليس محض اختيار بشري من خلال ثمانية العنصر المعجزي (انشقاق جدار الكعبة) لمعجزات الأنبياء عليهم السلام في الأديان الإبراهيمية، كانشقاق البحر للنبي موسى عليه السلام، ممّا يربط شخصية الإمام

الكعبة نفسها حسب بعض الروايات)... كل هذه الصفات تهدف إلى جعله المؤهل الوحيد لخلافة محمد.^(١٨)

أما البريطاني برنابي روجرسون Barnaby Rogerson الذي قدّم نصّاً بشأن رواية مولد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام داخل الكعبة يُمثّل أنموذجاً للمنهج النقدي الذي يتعامل مع المرويات التاريخية الإسلامية من خلال مرجعيات فكرية محدّدة؛ إذ يصف (روجرسون) الرواية بأنها «دُبّجت في وقت لاحق»، بقوله: «وفي وقت لاحق دُبّجت قصة حول مولده، مؤدّاه أنّ أم علي كانت تطوف حول الكعبة، فأجأها المخاض، فاضطرت إلى الاحتماء ببيت الله لتضع وليدها علياً»^(١٩).

ولو حللنا قول (روجرسون) نقدياً معتمدين على عناصر عديدة، منها:

١- الدلالات الاصطلاحية: إذ يحمل استعمال مصطلح «دُبّجت» (بمعنى زُوِّرت أو أُلْفَت) دلالة على أنّ القصة مختلفة وغير موثوقة، ممّا يعكس حكماً قيمياً مسبقاً ينزع الصفة التاريخية عن الرواية ويُصنّفها في إطار الأساطير والاختلاعات الذي يفتقر إلى الحياد العلمي.

٢- المنظور الزمني: يُشير وصف «وقت لاحق» إلى تبني منهجية تشكيكية تعتمد على التأريخ الزمني للرواية، حيث تُعتبر الروايات المتأخرة عرضة للتحريف والإضافة، مع إغفال إمكانية وجود نقول شفوية سابقة.

٣- التفسير المادي للحدث: يُقدّم (روجرسون) الرواية على أساس أنّها مجرد استجابة طارئة لظرف مفاجئ (فأجأها المخاض، فاضطرت إلى الاحتماء)، متجاهلاً البعد الغيبي والكراماتي الذي تحمله الرواية في السياق الإسلامي.

وممّا تقدّم جاز لنا فهم هذا المنهج في إطار الاتجاه الاستشرافي الكلاسيكي الذي يتّسم بـ (النزعة العقلانية المفرطة Hy-per-Rationalism)، الرافض لأي حدث يتجاوز قوانين الطبيعة المألوفة، وتُصنّف الخوارق ضمن باب الأسطورة، خاصة تلك المتعلقة بالفضائل والمناقب التي

لقد انساق بعض المستشرقين إلى إثارة الشكوك حول الشخصيات المُختارة من أئمة أهل البيت عليه السلام ابتداءً من النبي الأعظم محمد عليه السلام، وانتهاءً بالإمام المهدي عليه السلام، إذ جعلوا الانتقاد والإسقاط المادي والتشويه بطريقة مُغرضة وهادفة إلى ما يصبون إليه من نتائج عكسية.

الإسلامية التي قبلت الرواية.

أما المستشرق الأمريكي (ماتيو بيرس Matthew Pierce) فقد عرّض في تحليله للسيرة الذاتية للأئمة عليهم السلام عند الشيعة مقارنةً تُركّز على الثنائيات المتقاطعة في هذه النصوص، حيث يبرز التوتر الجدلي بين تصوير الأئمة كشخصيات تاريخية قيادية من جهة، وبين الأبعاد التعبدية والروحية التي تحيط بسيرتهم من جهة أخرى، ويشير (بيرس) تحديداً إلى أن كُتّاب السيرة الذاتية يواجهون تناقضاً بين سعيهم لعرض الأئمة كقادة أقوياء وأكفاء، ورغبتهم في تسليط الضوء على فشل المجتمع الإسلامي - من وجهة نظرهم - في الاعتراف بحق هؤلاء الأئمة في القيادة، ويمكن تطبيق هذا الإطار التحليلي على حدث ولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في جوف الكعبة، حيث تُمثّل هذه الواقعة تأكيداً على الشرعية السياسية والدينية المتجسدة في شخص الإمام. فاختصاص بيت الله الحرام بمولد الإمام عليه السلام يضفي عليه بُعداً قدسياً، ويعزّز من أحييته بالقيادة من المنظور الشيعي.

كما لفتَ (بيرس) الانتباه إلى الوظيفة الاجتماعية لروايات الميلاد، مؤكداً أنها «تُنجز أشياءً للمجتمع الشيعي، وتلك ما يتجلى بوضوح في حدث ولادة الإمام علي عليه السلام، حيث يتعدّى هذا الحدث كونه مجرد واقعة تاريخية ليتحول إلى مناسبة تعبدية تحتفي بها الجماعة الشيعية بشكل دوري، باعتبارها

علي عليه السلام بحلقة النبوة والوصاية . وعليه، يُميّز علماء الشيعة الإمامية تمييزاً دقيقاً بين «المعجزة» التي هي حُجة الله على خلقه عبر أنبيائه ورسله لتأييدهم عبر تحدي أقوامهم، وبين «الكرامة» التي قد منحها الله تعالى لأوليائه الصالحين والأئمة المعصومين إكراماً لهم وبيان علو مرتبتهم غير متحدّين فيها أحداً؛ لذا لا يُعدُّ حدث ولادة الإمام علي عليه السلام في الكعبة معجزةً بالمعنى الاصطلاحي الكلامي، بل يُصنّف في إطار «الكرامة الإلهية» التي تؤكد على منزلته المتميزة في العقيدة الشيعية، كما حدثت له في حياته كرامات أخرى.

ثالثاً: الاتجاه المعتدل: سعى بعضُ المستشرقين إلى فهم الحضارة الإسلامية من داخلها، محاولةً منهم لإعادة تشكيل صورة الإسلام الخاطئة في أوروبا، والتي صنعها المستشرقون وأصحاب المناهج التشكيكية؛ إذ انصبّت أبحاثهم على النصوص الدينية الإسلامية، وعلى الحقائق التاريخية والاجتماعية والروحية الإسلامية، وسلّكوا منهجاً علمياً من خلال قراءتهم للنصّ، فحقّقوا بذلك مدرسة ما زالت التيارات الفكرية المعاصرة تستلهم من أصولها، عندما لجؤوا إلى روح الاعتدال والموضوعية في دراساتهم لشخصيات أهل البيت عليهم السلام، إذ يُعدُّ الألماني (ويلفرد مادلونغ Wilferd Madlung) من أكثر المستشرقين إنصافاً في تناوله التاريخ الشيعي، ففي كتابه المشهور (خلافة محمد)، وعند حديثه عن سيرة الإمام علي عليه السلام أكّد ذكر ولادته في الكعبة وعاملها كحدثٍ تاريخي مهم في فهم المكانة الخاصة للإمام علي عليه السلام في التراث الإسلامي، مع الإشارة إلى قبولها الواسع في المصادر الإسلامية رغم تركيز الشيعة عليها أكثر، قائلاً: « طبقاً للتقليد الشيعي المتواتر، وُلد علي داخل الكعبة في مكة. ومن الواضح أنّ هذه الظروف الفريدة للولادة كانت تُرى كعلامة على مكانته الروحية المميزة»^(٢١)، فموقفه هذا يمكن وصفه بـ «القبول الضمني» النابع من اعتماده على منظومة المصادر

- محمد بن علي، عن آبائه الأمالي: ٧٠٦-٧٠٨
- ٥- مناقب آل أبي طالب: ٢١/٢-٢٢.
- ٦- الغدير: ٢٢/٦.
- ٧- ينظر: الأوردبادي، علي بن محمد، وليد الكعبة: ١٨-١٩؛ الأميني، الغدير: ٢٢/٦.
- ٨- حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي، أبو خالد المكي، عمته خديجة بنت خويلد، ولد قبل عام الفيل بثلاث عشر سنة، وتوفي سنة خمسين للهجرة.
- ينظر: تهذيب الكمال: ١٧٠/٧.
- ٩- المستدرک على الصحيحين: ٤٨٣/٣.
- ١٠- تذكرة الخواص: ١٠.
- ١١- كفاية الطالب: ٤٠٧.
- ١٢- السيرة الحلبية: ٢٢٦/١-٢٢٧.
- ١٣- ازالة الخفاء عن سيرة الخلفاء: ٢٠١/٢.
- ١٤- الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية: ١٥.
- ١٥- الغدير: ٢٣/٦.
- ١٦- علي بن محمد، وليد الكعبة: ٢٥-٦٠. أيضاً ينظر الأميني، الغدير: ٢٤/٦.
- ١٧- ديوان السيد الحميري: ٦٩.
- 18- Lammens Henri: "Alī et la prise du Califat. Études sur le premier Schisme dans l'Islam." In: Journal Asiatique 220 (1932). P. 25.
- ١٩- ورثة محمد: جذور الخلاف السني الشيعي: ٦١.
- 20-Matti Moosa: Extremist Shiites. (Syracuse University Press 1988). p. 66.
- 21-Madelung Wilferd: The Succession to Muhammad. (Cambridge University Press 1997). p. 14.
- 22-Piercel Matthew: Twelve Infallible Men The Imams and the Making of Shi'ism. (Harvard University Press London 2016). p. 129.
- ١- التواتر المعنوي: هو أن يكون أصل الخبر أو الحادثة قد نُقِلَ بطرق متعددة جداً، كل طريق لها ألفاظها الخاصة، ولكنها جميعاً تشير إلى نفس الحقيقة الأساسية. وتطبيق ذلك على مولد الإمام علي عليه السلام في الكعبة: ففي هذه الحادثة سوف نجد: روايات بألفاظ مختلفة، روايات بسياقات متعددة، روايات تنقل الحادثة من زوايا مختلفة. ولكن جميع هذه الروايات - على اختلاف ألفاظها - تلتقي في المعنى الأساس وهو: «ولادة علي بن أبي طالب داخل الكعبة المشرفة».
- ٢- الأمالي: ١٩٣-١٩٤؛ علل الشرائع: ١/١٣٥-١٣٦؛ معاني الأخبار: ٦٢.
- أيضاً ذكره: ابن القتال في روضة الواعظين: ٧٦؛ وابن حمزة الطوسي في الثاقب في المناقب: ١٩٧؛ والراوندي في الخرائج والجرائح: ١/١٧١ عن نوفل بن قعب بن قعب وليس يزيد بن قعب؛ والأربلي في كشف الغمة: ١/٦١ والعلامة الحلي في كشف اليقين: ١٧-١٩.
- ٣- بشارة المصطفى: ٢٦-٢٧. وذكره الأربلي في كشف الغمة: ١/٦١.
- ٤- الأول: عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان، ... عن عائشة، والثاني: عن محمد بن أحمد بن شاذان، ... عن العباس بن عبد المطلب، والثالث: عن إبراهيم بن علي، بإسناده عن أبي عبد الله جعفر بن

شمائله فيها النجوم الطوالعُ

علي الشيخ جعفر كاشف الغطاء

نعم واستخفّتكَ الربوعُ البلاعُ
كما مَزَقَ النقعَ السيوفُ القواطعُ
وبيضُ المواضي والرماح شوارع
يهاذقنني في ودّه ويصّـانـع
وطير الجوى بين الجوانح واقع
أشارتُ كليبٌ بالأكفِ الأصابع
شعاعٌ من النور الإلهي ساطع
شمائله فيها النجوم الطوالع
لتقصر عن إدراكه فهو شاسع
صفاتٌ لأضداد المعالي جوامع
يضيئُ بها رحب الفضاء وهو واسع
ألا كل مدٌّ في سواك لضائع
وحلمك يوم الصفح للصفح شافع
وأنت له صهرٌ وصنوّ وتابع
كما أيّدتُ كفيّه منه الأصابع
ولا قاطعٌ إلا الذي هو قاطع
وللذكر نصٌّ فيك ليس يدافع
فهل يستوي شَمُّ الذرى والاجازع
لما شُرّعتُ للناس منه الشرايع
إذا ما دعي للأمر وافـتـ تسارع

أهاجك برقٌ في دجى الليل لامعُ
أضياء فجلباب الظلام ممزقُ
ذكرتكمُ والخيـل تعثر بالقنـا
أقلّبُ طرفي لا أرى غير ناكثٍ
سأشكوهمُ والعين يسفح ماؤها
إلى مَنْ إذا قد قيل من نفس أحمدٍ
وروح هدىً في جسم نورٍ يمدّه
ملكٌ تجلّى في سما المجد رفعةً
دنا فتدلّى للعقول وإنها
يريك الندى في البأس والبأس في التقى
يهمّ بمقدام على كل فتكةٍ
خلالٍ يضوع الشّعـر من طيب نشرها
حسامك في الاعمار أمضى من الردى
وأنت أمين الله بعد أمينه
لعمري لقد أيّدتـه في حروبه
فلا واصلٌ إلا الذي هو واصل
أقول لقوم أخـروك سفاهةً
دعو الناس ردّوهم إلى من يسوسهم
ألا إن هذا الدين لولا حسامه
ألا إنما الأقدار طوع بنانه



وليد الكعبة الأوحـد

في الثالث عشر من رجب، سنة ٢٣ قبل الهجرة، شاءت مشيئة الله أن يُولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في بيته الحرام، الذي جعله قبلةً للناس وأمنًا، فلم يولد قبله ولا بعده أحد في الكعبة المشرفة، وقد كانت ولادته فيها معجزة في حد ذاتها؛ إذ اختار الله سبحانه وتعالى هذا المكان المقدس ليكون مهبطاً لأشرف خلقه بعد رسول الله ﷺ، مما يبرز عظمة مقامه ورفعة شأنه عليه أفضل الصلاة والسلام.

فقد روي عن سعيد بن جبیر قال، قال يزيد بن قعنب: ((كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملة به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق، فقالت: رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي. قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عز وجل ثم خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قالت: إني فضلت على من تقدمني من النساء، لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً، وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سمّيه علياً، فهو علي، والله العلي الأعلى يقول: إني شققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه))^(١).



الكلم الطيّب

الباحث أمير حسين دهقان الأنارستاني
المركز التخصصي لعلوم ومعارف
الحديث في الحوزة العلميّة بقم
المقدّسة

■ الدراسةُ التاريخيّةُ لاستنادِ الإماميّة
إلى حديثِ السّفينَةِ

■ المبعث النبوي الشريف عند الشيعة
الروايات والدلالات العقديّة

الدراسة التاريخية لاستناد الإمامية إلى حديث السفينة

الباحث أمير حسين دهقان الأنارستاني
المركز التخصصي لعلوم ومعارف الحديث
في الحوزة العلمية بقم المقدسة

حديث السفينة من الأحاديث المشهورة بين الشيعة وأهل السنة، ويدلّ مضمونه على حقانية أهل البيت عليهم السلام ونجاة من تمسك بهم، وتُظهر الدراسة التاريخية أنّ لهذه الرواية من خلال محدثي الإمامية في مختلف القرون استندوا إليها في مؤلفاتهم، واستنبطوا منها دلالات متنوعة منها الإمامة، والعصمة، والمرجعية العلمية، ووجوب الطاعة، وفضيلة أهل البيت عليهم السلام. قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ))^(١)، رُوي بطرق مختلفة في مصادر الحديث عند الشيعة والسنة، ومنذ صدر الإسلام إلى القرن الحادي عشر الهجري، أورد المحدثون الإماميون هذا الحديث في كتبهم الحديثية والكلامية لأغراض شتى، وسنبين مسار دلالات هذا الحديث في كلمات علماء الإمامية من البدايات حتى العصر الحاضر.

دلالات حديث السفينة في نظر المحدثين الإمامية
تكشف الدراسة التاريخية لنظرة المحدثين إلى حديث
السفينة عن أنّ هذا الحديث شكّل منذ البداية إلى
اليوم أساساً لمباحث في الإمامة والعصمة والعلم
وفضيلة أهل البيت عليهم السلام ووجوب طاعتهم.

• أبو الصلاح الحلبي في (تقريب المعارف) (١٤٠٤ ق:
ص ١٨١، باب النصّ على إمامة الأئمة) استدلل
بالحديث على عصمتهم، نافياً وقوع الخطأ من الإمام
المعصوم.
• ابن حيّون المغربي في (شرح الأخبار في فضائل
الأئمة الأطهار عليهم السلام) (حسيني جلاي، ١٤٠٩ ق:
ج ٢، ص ٢٦٩) جعل الحديث برهاناً على وجوب
طاعة أمير المؤمنين عليه السلام.

القرون الأولى إلى القرن الخامس:

من القرن السادس إلى القرن العاشر:
في هذه المدة انتقل المحدثون من مجرد النقل إلى
التفسير والاحتجاج:

• فتال النيسابوري في روضة الواعظين وبصيرة
المتعظين (١٣٧٥ ش: باب الإمامة لعلي عليه السلام وذريته)
عدّ الحديث مؤيداً لإمامة ائمة أهل البيت عليهم السلام.

• الشعيري في جامع الأخبار (بلا تاريخ: ص ١٤،
الفصل الخامس في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام) اعتبره
دالاً على فضيلة الإمام عليه السلام.

• ابن شهر آشوب في متشابه القرآن ومختلفه (١٣٦٩ ق:
ج ٢، ص ٥٧، ذيل آية ٣٣ من آل عمران) استدلل
بأنّ نجاة الأمة دليل على عصمة أهل البيت عليهم السلام؛ إذ
لا معنى للنجاة مع إمكان الخطأ.

• ابن أبي جمهور الأحسائي في عوالي اللآلي (١٤٠٥ ق:
ج ٤، ص ٨٥، باب الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله
وحامله) ومعه الإربلي في كشف الغمّة في معرفة

في هذه المرحلة كان الحديث يُروى على وجه النقل
المباشر من دون بسطٍ كلامي، لكن عبر مضمون
الأبواب وترتيبها يمكن استنباط الدلالات الآتية:
• الشيخ الصدوق رحمه الله في (الاعتقادات)
(١٤١٤ ق: ص ٩٤، باب الاعتقاد في عدد الأنبياء
والأوصياء) اعتبر حديث السفينة دليلاً على أصل
إمامة أهل البيت عليهم السلام، وبعد ذكره أسماء الأئمة
وصفهم بأنهم كسفينة نوح.

• وفي كتبه الحديثية الخصال (١٣٦٢ ش: ج ٢،
ص ٥٧٣) ومئة منقبة (ابن شاذان، ١٦٠٧ ق:
ص ٤٠) دلّ الحديث على فضيلة أهل
البيت عليهم السلام وتفاضلهم على الناس.

• محمد بن علي كراجكي في (التعجب من أغلاط
العامة في مسألة الإمامة) (١٤٢١ ق: ص ١٥٠ -
١٥١) انتقد إعراض أهل السنّة عن تعاليم أهل
البيت، ورأى في الحديث دلالة على مرجعيّتهم
العلميّة عليهم السلام.



إنَّ حديثَ السفينة من الأحاديث المتواترة المشهورة في كتب الفريقين، وإن لم يُثبت تواتره عند أهل السُّنَّة، فصَحَّةُ طُرُقهِ غيرُ قابلةٍ للإنكار.

الأئمة عليهم السلام (١٣٨١ق: ج ١، ص ٥٤٩) أثبتا من الحديث مرجعية أهل البيت العلمية.
• وفي الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف (ابن طائوس، ١٤٠٠ق: ج ١، ص ١٣١) صرح المؤلفُ بعبارة الرسول ﷺ في (وجوب الالتزام بأهل بيته)، مستنبطاً من الحديث وجوب طاعتهم.

(صلاة أبي بكر).

• السيد عبد الحسين الطيب رحمه الله في كَلِم الطيب (١٣٦٢ش: ص ٥٠٤) نصَّ صراحةً على كون الحديث دليلاً قاطعاً في الإمامة.
• ومن المعاصرين أيضاً:

التيجاني السماوي في (لأكون مع الصادقين) (١٤٢٨ق: ص ٢٢)، والشيخ جعفر السبحاني رحمه الله في المحاضرات في الإلهيات (١٤٢٨ق: ص ٣٢٣)، وعبد الله حسن في مناظرات في (العقائد والأحكام) (١٤٢٧ق: ص ٣١٨)، وقد استعملوا الحديث لإثبات المرجعية العلمية والعملية لأهل البيت عليهم السلام.

الخاتمة:

من مجموع ما تقدّم، يتبيّن ما يأتي:

١. إنَّ حديثَ السفينة من الأحاديث المتواترة المشهورة في كتب الفريقين، وإن لم يُثبت تواتره عند أهل السُّنَّة، فصَحَّةُ طُرُقهِ غيرُ قابلةٍ للإنكار.

القرن الحادي عشر إلى العصر الحديث:

من القرن الحادي عشر فصاعداً، تعاظم الاهتمام بهذا الحديث في مؤلّفات الإمامية:

• في كتاب إحقاق الحق وإزهاق الباطل لـ القاضي نور الله الشّهسّري رحمه الله (١٤٠٩ق: ج ٣٤، ص ٥٨٩) ورد الاستدلالُ به في نحو مئة وخمسين موضعاً، ثمّ تابع الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله هذا المنهج في إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات (١٤٢٥ق).

• الفيض الكاشاني رحمه الله في (علم اليقين) (١٨٠٠ق: ج ١، ص ٦٣١) وقرة العيون (١٣٨٧ش: ص ٤١٣) أورد الحديث لتأييد إمامة وعصمة أهل البيت عليهم السلام.

• السيد محمد سعيد الحكيم رحمه الله في (في رحاب العقيدة) (بغداد، ١٤٣٣ق: ج ٢، ص ٢٢٥ - ٢٢٧؛ ج ٣، ص ١٤٠) اعتبر الحديث دالّاً على الإمامة والعلم والعصمة، بل عدّه أبلغ من احتجاج أهل السُّنَّة بحديث

٢. ظهر الحديث في نحو تسعة وعشرين كتاباً لعلماء الإمامية حتى نهاية القرن الخامس، وله أكثر من اثنين وعشرين طريقاً، واستعملت طرقه القديمة مراراً في القرون اللاحقة إلى العصر الحديث، مع وجود بعض الأسانيد المستقلة أو المرسلة.

٣. روي في سبعة كتب من مصادر الشيعة عن النبي ﷺ وعن الإمام عليّ عليه السلام، وسائر الروايات تتعلق بعموم أهل البيت عليه السلام، بل أنّ الأئمة عليهم السلام استشهدوا به للتعريف بأنفسهم، دلالة على شهرته منذ صدر الإسلام.

٤. يظهر عبر تتبع الأزمنة أنّ الحديث ورد منذ أوائل الكتب الكلامية، فقد اهتم الشيخ الصدوق (رحمه الله) بنقله في مؤلفاته الحديثية والكلامية - الاعتقادات والهداية - بينما لم يستعمل عند الشيخ المفيد (رحمه الله) إلا في الإرشاد، غير أنّ السيد المرتضى (رحمه الله) في (الشافي) وسّع نطاق الاستدلال به.

وفي القرون التالية استمرّ التمسك به بدرجات متفاوتة، حتى بلغت ذروتها في كتاب إحقاق الحق في القرن الحادي عشر، الذي غدا أوفى مصدر في هذا الحديث.

المبعث النبوي الشريف عند الشيعة

الروايات والدلالات العقدية

يحتل المبعث النبوي الشريف في ٢٧ رجب منزلة عظيمة في التراث الإسلامي، إذ يعتبر اليوم الذي بدأت فيه الرسالة الخاتمة على يد النبي محمد ﷺ. وقد وردت في مصادر الإمامية روايات عديدة تؤكد أن بداية نزول الوحي كان في هذا اليوم المبارك، فقد روى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ في السابع والعشرين من رجب بالرسالة))^(١)، وهذه الرواية من أهم الأحاديث التي يُستند إليها في تحديد تاريخ المبعث النبوي الشريف.

وبحسب ما تقدّم هناك روايات أخرى قد وصفت وصفاً تفصيلياً لحظة بدء الوحي، فقد روى الإمام الباقر عليه السلام: ((أول ما نزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو في غار حراء))^(٢)، عند نزول الآية الشريفة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وتشير بعض الروايات إلى أن النبي ﷺ سمع هاتفاً من السماء قبل نزول جبرائيل يثبت نبوته، وهو ما رواه الصدوق في الخصال^(٣).

وفي بيان عظمة هذا اليوم، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: ((هو يوم بعث الله فيه نبيه رحمةً للعالمين))^(٤)، وتضيف روايات أخرى أن هذا اليوم هو يوم تنزل فيه الرحمة وتُستجاب فيه الدعوات^(٥).

ويمتاز المبعث عند الشيعة بوجود ارتباط وثيق بين النبوة والولاية، إذ يروي الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((ما نزل وحيٌ إلا ومعه ولاية علي))^(٦)، ويُفهم من هذه الرواية أن الولاية كانت جزءاً ملازماً للرسالة منذ بدايتها، وإن كان الإعلان عنها قد تأخر لحكمة إلهية.

كما تذكر الروايات مجموعة من الأعمال العبادية الخاصة بهذا اليوم، منها الغُسل، والصيام الذي ورد أنه يعدل صيام سبعين سنة، والصلاة ذات الاثنتي عشرة ركعة، وزيارة النبي وأمر المؤمنين، فضلاً عن الإكثار من الصلاة على محمد وآله^(٧).

وهكذا يظهر المبعث الشريف في الفكر الشيعي بوصفه حدثاً روحياً وعقدياً محورياً، يجمع بين بدء نزول الوحي وظهور الرحمة الإلهية، ويمثل نقطة الانطلاق للنبوة الخاتمة التي اقترنت بولاية أهل البيت عليهم السلام، فكان هذا اليوم مناسبة للتأمل في معاني الرسالة، ومسؤوليات الأمة تجاه إرثها الإلهي.

١. الكليني، الكافي: ٢/ ٢١.

٢. الصدوق: عيون أخبار الرضا: ١١٣/ ٢.

٣. ظ: الخصال: ٦٠٧.

٤. الصدوق، عيون أخبار الرضا: ١١٠/ ٢.

٥. ابن طاووس، إقبال الأعمال: ٦٨٩.

٦. الكليني، الكافي: ١/ ٤٣٧.

٧. الكفعمي، المصباح: ٥٤٦.



حتى يتفقهوا

■ مشروعية الذكاء الاصطناعي
في المجال الطبي

السيد حسن الموسوي الحلي
الحوزة العلمية في النجف الأشرف



مشروعية الذكاء الاصطناعي في المجال الطبي

السيد حسن الموسوي الحلي
الحوزة العلمية في النجف الأشرف

إنّ أجهزة الذكاء الاصطناعي، بمجالاتها كافة من الروبوت وغيره، قد تستطيع تحقيق مستقبل طبي يفوق التصورات التقليدية في مجال الطب، وهذا ما تُشير إليه التقارير العلمية في مجال تطوير أجهزة الذكاء الاصطناعي، إنها قد تُحدث ثورة طبية كبيرة في المستقبل القريب، الذي أصبح واقعاً علمياً بدءاً من تشخيص الأمراض، ومن ثمّ تشخيص العلاج، وحتى العمليات الجراحية.

وأجهزة الذكاء الاصطناعي المرتبطة به. كما يقدّر عدد الروبوتات المتوافرة في مستشفيات العالم نحو (٧٥٠٠) روبوتاً بعضها متخصص في تشخيص الأمراض وبعضها الآخر طبيّ جراحيّ^(٤).

المطلب الثاني: مشروعية التشخيص بالذكاء الاصطناعي

المقصد الأول: موقف الشريعة الإسلامية من التقدم الطبي.

إنّ الشريعة الإسلامية لم تقف موقف المنع من التطور العلمي والتقدم الطبي، الذي يكون طريقه ووظيفته في منفعة الإنسان، وكلّ ما لم يسبب ضرراً مادياً أو معنوياً أو غيرهما للإنسان، لا سيما فيما يرتبط بالجانب الطبي والصحي لحياة الإنسان، وقد حثّ النصوص الشرعية على استحباب التداعي، وقد يتصل الأمر ببعض النصوص الواردة عن أهل البيت عليه السلام. وفي هذا السياق دلّت بعض روايات أهل البيت عليه السلام على مشروعية التشخيص واستخدام العلاج، الذي هو التداعي، لذا فمن جانب التشخيص ومشروعته والتداعي قد حثّ كثير من روايات أهل البيت عليه السلام على التداعي ومداواة ما يطرأ على البدن من الأعراض والأمراض، فكانوا (صلوات الله عليهم) يرشدون الناس إلى استخدام العلاج بعد تحديد نوع المرض وتشخيصه، فيكون استخدام العلاج بحسب الظروف التي تحيط بهم وأحوالهم في كل زمان ومكان. ونلاحظ من الروايات أن الأئمة (صلوات الله عليهم) يؤكدون أن الله تعالى جعل لكلّ داءٍ دواء مع تأثير الزمان والمكان في ذلك، إذ يمكن أن يُستفاد من الأخبار المطلقة في التداعي والاستدلال بها على مشروعية استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي في التشخيص الطبي.

المطلب الأول: استخدام الذكاء الاصطناعي في التشخيص الطبي

دخل استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي، لا سيما الروبوت، في مجال الطب منذ سنوات، إذ اعتمد الأطباء والجراحون على مساعدة الروبوتات لهم في العمليات الجراحية، وقد مكّنت هذه الأجهزة والروبوتات الأطباء والجراحين في إجراء عمليات جراحية معقدة، بصورة دقيقة وبمهارة فائقة، ومن ذلك عمليات القلب المعقدة وعمليات الأوعية الدموية وغيرها، وكل هذه تكون بوقت أقل بكثير مما هو معهود في العمليات الجراحية، ولكن بيّنت دراسات في كلية الطب لجامعة ستانفورد أنّ العمليات الروبوتية تكون ذات كلفة مالية أكثر من غيرها، ولكن تمتاز بإيجابيات أخرى، وتكون من دون حصول الارتباك في أثناء العمليات من قبل الجراح أحياناً كما يحصل سابقاً، نتيجة للاضطرابات المفاجئة، وكذلك من دون الحاجة إلى أن يكون الجراح واقفاً لمدة طويلة في أثناء مدة الجراحة كما في العمليات التقليدية السابقة^(١).

وفي جانب تشخيص الأمراض وما يتفرّع عن عمل أجهزة الذكاء الاصطناعي فيها، ولا يخفى التقدم الحاصل في تكنولوجيا النانو، الذي أدّى إلى التفكير بصنع (روبوتات نانوية)^(٢) من قبّل المتخصصين في المجال الطبي وهذه الروبوتات النانوية^(٣) المتناهية الصغر تكون وظيفتها من خلال حقنها في جسم الإنسان عن طريق الدم أو ابتلاعها، ثم بعد ذلك تقوم بالمهام الطبية التشخيصية والعلاجية المبرمجة عليها داخل جسم الإنسان، ومن هذه المهام تصوير خلايا الجسم وأجهزته الداخلية، وكذلك تقوم بوظيفة مراقبة أعضاء الجسم لاستكشاف الخلايا المصابة، وتقوم بعد ذلك بإيصال الدواء إلى هذه الخلايا، وغيرها من المهام.

ومع بداية عام ٢٠٢٣م تم إجراء نحو (١١) مليون عملية طبية جراحية عبر الاستعانة بالروبوت الطبي بعد تشخيص هذه الأمراض من قبل الروبوت

المقصد الثاني: أدلة مشروعية التشخيص بالذكاء الاصطناعي

الدليل الأول: الروايات الشريفة.

أولاً: ذكر ابن إدريس رحمته الله في السرائر^(٥): أنه قد ورد الأمر عن رسول الله ﷺ ووردت الأخبار عن الأئمة من ذريته عليهم السلام بالتداوي، فعن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام: ((تداووا، فما أنزل الله داءً إلا أنزل معه دواءً إلا السام - يعني الموت -، فإنه لا دواء له))^(٦).

ثانياً: وردت رواية أخرى في كتاب الجعفریات^(٧) عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: ((قيل: يا رسول الله، نتداوى؟ فقال ﷺ: نعم، ما أنزل الله تعالى من داء إلا قد أنزل معه دواء فتداووا، إلا السام فإنه لا دواء له))^(٨).

فيستفاد من هاتين الروايتين والتي جاءت مطلقة أن الله تعالى جعل الشفاء في استعمال الدواء، ومقتضى هذا على الإنسان أن يسعى جاداً وي بذل جهداً في معرفة الأدوية وطرقها، التي جعل فيها الشفاء ويكون ذلك عن طريق أهل الخبرة في هذا المجال، أو قيام أهل الخبرة بذلك في صناعة الأدوية اللازمة لعلاج الأمراض، التي تتطور وتتغير من زمان إلى زمان، بل يتطلب من أهل الخبرة أحياناً القيام بتجارب واختبارات في صنع الأدوية واستخراجها، للوقوف على ما يصلح لتطور الأمراض وينفع الإنسان، ومع كل زمان يجب على الإنسان عدم الاستسلام للأمراض وإهمال البحث عن العلاج، بل يجب عليه التكيف مع التطورات الحاصلة في العالم. وهذا يقودنا إلى مشروعية التشخيص باستخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي، للوقوف على الأمراض المحتملة والمعقدة، والتي لا يمكن التنبؤ بها ولا تظهر أعراضها في جسم المريض إلا عن طريق أجهزة متطورة جداً، منها أجهزة الذكاء الاصطناعي عن طريق زراعتها في جسم الإنسان أو الأجهزة التشخيصية الدقيقة، التي تمتاز بتقنية الذكاء الاصطناعي.

ثالثاً: في رواية أيضاً ذكرها الطبرسي، قال النبي ﷺ: ((تداووا، فإن الله عز وجل لم ينزل داءً إلا وأنزل له شفاءً))^(٩)، فهي تدل على الأمر بالتداوي، وهذا يتطلب البحث عنه بأية وسيلة مشروعة كانت، بحسب زمان المريض والمرض الذي في زمانه.

رابعاً: هناك رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((إن نبياً من الأنبياء مرض فقال: لا أداوى حتى يكون الذي أمرضني هو الذي يشفيني، فأوحى الله عز وجل لا أشفيك حتى تتداوى، فإن الشفاء مني والدواء مني، فجعل يتداوى فأثنى الشفاء))^(١٠). ودلالة هذه الرواية واضحة، إذ إنها تؤكد أن الشفاء وإن كان من عند الله تعالى فهو المشافي من دون سواه، إلا أن إرادته تعالى قد تعلقت بالأخذ بالأسباب، لتحصيل الشفاء، فإن من أسباب الشفاء هو تناول الدواء.

فيتبين من هذه النصوص وغيرها مشروعية استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي في التشخيص الطبي، بما يؤدي إلى منفعة الإنسان وعدم معارضة ومخالفة قواعد وضوابط الشريعة المقدسة. ويتضح أن استخدام الروبوتات النانوية وبقية أجهزة الذكاء الاصطناعي ليس فيها معارضة لضوابط الفقه الإمامي، وأن النصوص الواردة إن تأكدت صحة سندها ومتنها فهي واقعة في عموم التداوي المأمور به من قبل المولى ﷺ الوارد في الروايات، وأن وظيفة تشخيص أجهزة الذكاء الاصطناعي من الروبوتات والشرجحة، التي في جسم الإنسان وغيرها، شأنها شأن أية آلة طبية تشخيصية تقليدية كانت قبلها، ولكن مع التطور الحاصل، ولاكتشاف بعض الأمراض التي يصعب اكتشافها مبكراً، تطلب استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي، التي تكون قادرة على اكتشاف وتشخيص الأمراض بوقت مبكر جداً، لئتم علاجها بينما كانت في السابق تنتشر في جسم المريض، ولا يكون الطب عند ذلك قادراً على الوقوف على علاجه واستئصاله.

وبناءً على ما مضى فقد دلت النصوص الشرعية المطلقة في مذهب الإمامية على الأمر بالتداوي، والأخذ

والحل في تناول كل ما لم يُعلم حرمة من الشرع^(١٤).

فيستفاد من هذه القاعدة كما هو معلوم في مورد البحث أن التشخيص ممّا لا حرمة فيه بحد ذاته، فيتّضح من القاعدة أنّفة الذكر أن التشخيص باستخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي لا دليل على حرمة، وفي حال شك في حرمة استخدامه فإنّه يُحمل على الحليّة، ويمكن جريان قاعدة الحل فيها كان مشكوكاً بين الحليّة والحرمة فإنّه يُحمل على الحليّة.

الدليل الثالث: قاعدة لا ضرر.

إنّ قاعدة لا ضرر تعد من القواعد البالغة الأهمية في مقام الاستنباط، وقد أصبحت هذه القاعدة مورداً لاهتمام الفقهاء الأعلام، لا سيما في العصر الأخير، إذ عُنِيَ بها أغلب الفقهاء، لا سيما الشيخ الأعظم الأنصاري قلبي، عناية خاصة، وتطرق إلى البحث عنها في رسائله، فانتظمت بذلك في سلك علم الأصول، وأشيع البحث فيها لدى المتأخرين. وبناءً على كون المراد منها نفي الحكم، الذي ينشأ منه الضرر، فإنّه سوف يثبت لدى الفقيه نفي وجوب الوضوء مثلاً في حال ترتّب عليه الضرر، وكذا نفي وجوب الصوم عند ترتّب الضرر، ونفي حرمة حلق اللحية عند ترتّب الضرر، وغير ذلك^(١٥)، فإن قاعدة لا ضرر تنفي كل حكم يتولّد منه الضرر^(١٦)، وأنّ حديث ((لا ضرر ولا ضرار))^(١٧) الذي هو الأهم في مدرك القاعدة، ويعتبر من الأحاديث المشهورة بين علماء الأمة الإسلامية، وقد زخرت الموسوعات والمعاجم والمصنفات الحديثية بذكره وتخرّيجه، والإشارة إلى رواته وأسانيده، حتى ادعى بعضهم^(١٨) تواتره بين المسلمين.

مفهوم القاعدة: هو نفي الحكم الضرري في الشريعة المقدسة، وذلك امتناناً على العباد، وبذلك فكل عبادة أو معاملة كانت مستلزمة للضرر تنفي امتناناً للمكلف.

وقد وقع الاختلاف بين الفقهاء في بيان المراد من قاعدة لا ضرر ولا ضرار، كما نلاحظ أنّ الشيخ الأعظم الأنصاري قلبي فهم منها: أنّ كل حكم يتسبب من ثبوته

بالأسباب، من تناول العلاج والبحث عنه وعن تطوره واستعماله بأيّة وسيلة مشروعة بحسب تطور الأمراض، وما يحتاج إليه التشخيص في كل زمان.

الدليل الثاني: قاعدة الحل: يمكن الاستدلال على مشروعية استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي في التشخيص الطبي ببعض الأدلة المناسبة بالمقام من القواعد الفقهية، ومنها قاعدة الحل، التي مفهومها: أنّ كل شيء من الموضوعات الخارجية الذي يكون مشتبهاً به بين الحلال والحرام يحمل على الحلال، حيث تكون وظيفتها نفي المسؤولية تجاه الفعل المشكوك الحرمة.

وأما مدرك القاعدة^(١٩)، فيمكن الاستدلال على اعتبارها بما يأتي:

أولاً: الروايات الشريفة الواردة في مختلف أبواب الفقه:

١. منها: صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((كل شيء فيه حلال وحرام فهو لك حلال أبداً، حتى تعرف الحرام منه بعينه فتدعه))^(٢٠). فهذه الصحيحة دلّت على أنّ كل شيء كان مشتبهاً بين الحليّة والحرمة يُحمل على الحليّة، فما نشك به بأنّه حلال أو حرام العمل به يكون العمل به عندئذٍ حلالاً.

٢. ومنها: موثقة مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ((كل شيء هو لك حلال، حتى تعلم أنّه حرام بعينه، ... والأشياء كلّها على هذا حتى يستبين لك غير ذلك، أو تقوم به البيّنة))^(٢١). فدلالة هذه الرواية أيضاً واضحة وصريحة، بأنّ المراد من الأشياء الخارجية كلّها دالة على الإباحة، حتى تبين حرمتها أو تقوم به البيّنة.

ثانياً: التسالم: قد تحقق التسالم عند الفقهاء على مدلول القاعدة بلا خلاف ولا إشكال في التسالم على القاعدة بينهم، فالأمر متسالم عليه عندهم، ولا يخفى أنّه قد يعبر عن قاعدة الحل بأصالة الإباحة، وقد أفاد صاحب الجواهر قلبي في المقام بأنّه من المعلوم المقر في الأصول أنّ العقل والشرع تطابقا على أصالة الإباحة

متعددة، ولا ريب في أنَّ نفي الضرر والضرار في الجملة من الأمور التي يستقل بها العقل، ويشهد له في مقامات لا سيما آيات من الكتاب العزيز، وفي المدرك يمكن بيان الاستدلال على اعتبار القاعدة بالآيات الكريمة، والروايات الشريفة^(١٧)، ويلحظ أنَّ هذه الصورة أكثر تفصيلاً من الصورة الأولى؛ لاشتغالها على بعض الخصوصيات، التي لم تُذكر في تلك، ونحن لسنا بصدد التعليق على الروايات ومناقشة صيغ حديث (لا ضرر ولا ضرار) آنف الذكر، والكلام فيه يطول من توجيه ونكات وبيان، والمناقشة التي ذكرها الفقهاء الأعلام في المقصود من هذه القاعدة، والاستدلال على رأي كل فقيه، بل نريد أن نصل إلى التكييف الفقهي لاستخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي في المجال الطبي من التشخيص والعمليات الجراحية ومن ثم العلاج، وملاحظة عدم احتمال أدنى ضرر حاصل بسبب استخدامها، ومن ثم نفي حرمة استخدامها، فيكون جواز استخدام هذه الأجهزة بما يناسب المريض، لا سيما فيما يكون فيها منفعة معتدة عند العقلاء، في الحد من الأمراض المستقبلية، التي عجز عنها الطب في وقت سابق، وبذلك فإنَّ الضرر المقصود في القاعدة شامل للنقص في المال أو العرض أو البدن.

وعلى وفق ما مضى ذكره، يثبت كون المقصود نفي تحقق الضرر في حق المكلف من ناحية التشريع والأحكام، فكل حكم يكون ثبوته مستلزماً للضرر يكون متفياً، وهذا ما نقصده من الاستدلال بقاعدة لا ضرر في مشروعية استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي، في المجال الطبي من التشخيص والعمليات الجراحية والعلاج، وتشير الدراسات الحالية إلى الآن: أنه لا يوجد في وقتنا الحاضر أي ضرر محتمل في استخدام هذه الأجهزة في المجال الطبي، وفي حال تبين أنَّ هناك خطراً فإنه يجب وضع الضوابط والقوانين من ناحية الضمان وغير ذلك، لحماية المرضى وعدم الوقوع في الأخطاء غير المتوقعة، كما يجب الالتفات إلى ضوابط الشريعة الإسلامية.

ضرر على المكلف وفي أية مدة وحالة يلزم الضرر من ثبوته كان مرتفعاً^(١٩)، وقد تبعه في هذا الرأي جماعة ممن تأخر عنه، وذهب آخرون من جملتهم الشيخ الأصفهاني رحمته إلى أنَّ المقصود منها النهي عن الإضرار بالآخرين وتحريم ذلك، وليست ناظرة إلى الأحكام الشرعية ونفيها حالة لزوم الضرر^(٢٠)، وهناك تفاصيل أخرى في المصادر التي وردت فيها قاعدة لا ضرر.

وفي مقام معنى لفظ الضرر والضرار في القاعدة، فقد ذهب الآخوند الخراساني إلى أنَّ (الضرار) الوارد في الرواية له معنى الضرر نفسه، وأنَّ لفظ الضرار جاء بمعنى التأكيد على عدم الضرر^(٢١)، بينما اعتبر السيد السيستاني (دام ظله) أنَّ الضرار هو بمعنى الاستمرار في الضرر، فأشار بأنَّه يمكن القول بأنَّ الضرار يفرق عن الضرر، بلحاظ أنَّه يعني تكرر صدور المعنى عن الفاعل أو استمراره^(٢٢)، وبحسب رأي الفقهاء الأعلام أنَّ العرف هو المعيار في تحديد الضرر^(٢٣)، ومن المعلوم أنَّ المراد بالضرر في مقام البحث بالضرر العملي، والمقصود منه هو الضرر العملي الدنيوي، وقد فُسِّر (الضرر) بأنه النقص في النفس، أو الطرف كالعضو، أو العرض، أو المال^(٢٤)، وهذا ما نستفيده في البحث بأنَّه لا ضرر حاصل، أو لا يوجد احتمال لحصول الضرر من استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي، كما في استخدام الأجهزة الطبية المتعارفة في التشخيص والعلاج والعمليات الجراحية، وكذا أشار الشيخ الأنصاري رحمته إلى أنَّ المراد بالضرر خصوص الدنيوي وقد رفع الشارع الحكم في موارد امتناناً، فتكون القاعدة حاکمة على جميع العمومات المثبتة للتكليف، نعم لو قام دليل خاص على وجوب خصوص تكليف ضرري خصص به عموم القاعدة^(٢٥).

وأما في تحقيق القاعدة: فقد أشار السيد السيستاني (دام ظله): إلى أنَّ للبحث في هذه القاعدة أهمية كبرى لأهميتها في الاستنباط^(٢٦).

مدرك القاعدة: الذي هو عبارة عن روايات وهي بمنزلة كبرى كلية يطبقها رسول الله ﷺ في مواضع

المطلب الثالث: مشروعية خطأ التشخيص بالذكاء الاصطناعي

قد تثار المخاوف فيما لو أصيب شخص نتيجة للإهمال الطبي في أثناء التشخيص أو العلاج أو أثناء العمليات الجراحية، فلا بدّ من بيان الأحكام الفقهية المتعلقة في الخطأ الطبي.

١. الاستناد إلى قاعدة الإقرار.

تارةً يكون الخطأ الطبي نتيجة الروبوت، ونطلق عليه (خطأ الروبوت)، وفي هذه الحال لا بدّ من النظر في تعلّق الحكم بالخطأ الحاصل من الروبوت، فإنّ الروبوت ناتج من شركة مصنّعة له، وهناك مشفى قامت بشراء هذا الروبوت من الشركة المصنّعة له، وهناك طبيب مشرف على هذا الروبوت تمّ توظيفه من قبل المشفى، وفي المقابل خطأ حاصل.

إذاً، تحصّل لدينا مريض وروبوت والشركة المصنّعة له ومشفى وطبيب مشرف على الروبوت وخطأ طبي، وبين هؤلاء بيان الحكم الفقهى المتعلّق بالخطأ الطبي من ناحية الدية أو الضمان للمريض، فأما المريض فلا بدّ من تعويضه بالدية أو الضمان، لما تمّ إتلافه من أعضائه، وأما الروبوت فلا يتحمّل شيئاً كونه بحكم الآلات المستخدمة في العمليات الجراحية، أما الشركة المصنّعة لأجهزة الذكاء الاصطناعي وتحديداً الروبوت المستخدم في المجال الطبي، فإذا كان هناك عقد مبرم بين الشركة وذوي المريض أو المريض نفسه، أو بين الشركة والمشفى، بأنّ الشركة تقرّ بتحمّل المسؤولية تجاه الخطأ الطبي الحاصل خلال المدة المتفق عليها في بنود العقد، ففي هذه الحال تتحمّل الشركة الدية أو الضمان للمريض، استناداً إلى قاعدة الإقرار، التي تعني إقرار العقلاء على أنفسهم حجة، فإذا اعترف الإنسان بشيء يؤخذ بإقراره سواء أكان الإقرار بهال أم دين أم حق أم نسب أم جنائية عمد أم خطأ أم غير ذلك، ممّا يلزمه بحق أو مجازاة، فهو مأخوذ بجميع ذلك بمقتضى إقراره^(٢٨)، وهذه القاعدة من القواعد المسلّم بها من علماء الإسلام،

وأشار العلامة النراقي إلى إجماع العامة والخاصة على نفوذ إقرار كل عاقل على نفسه، بل هو ضروري في جميع الأديان والملل، ويدلّ عليه فضلاً عن ذلك، وإلى استقرار سيرة العقلاء في كل زمان ومكان على قبول إقرار كل أحد على نفسه الروايات العامة والخاصة الواردة فيها^(٢٩)، فمن الروايات المطلقة ما رواه جماعة من علمائنا في كتب الاستدلال عن النبي ﷺ أنّه قال: ((إقرار العقلاء على أنفسهم جائز))^(٣٠).

أما إذا كان الخطأ الطبي حاصلًا خارج المدة المتفق عليها، أي بعد انتهاء البند المتفق عليه في العقد، فلا شيء على الشركة، وفي هذه الحال يبقى أمامنا المشفى والطبيب المشرف.

٢. الاستناد إلى قاعدة العقود تابعة للقصد.

يمكن الاستناد إلى قاعدة (العقود تابعة للقصد)، حيث أنّ العقد عبارة عن تعهد الشخص مع آخر في أمر من الأمور، سواء أكان ذلك الأمر من الأمور المالية، كما في باب المعاوضات، أم أمراً آخر، كما في باب النكاح، إذ إنّ الزوجة تتعهد بأن تكون زوجة، فإذا قبل الزوج تتم المعاهدة، ويحصل ذلك الأمر في عالم الاعتبار، وبالتالي سوف تترتب عليه آثاره، فنتيجة العقد هي حصول ما تعاهدا وتعاقدا عليه، فيترتب عليه آثاره^(٣١)، وهذا ما نحتاجه في العقد المضى بين الشركة المصنّعة لأجهزة الذكاء الاصطناعي والمشفى أو المريض وذويه، ويدخل هذا الأمر في باب المعاوضات عند تعهد الشركة بتعويض أي خلل حاصل للمشفى أو المريض.

وقد استدللّ الفقهاء على اعتبار هذه القاعدة في مدركها بالتسالم وانتفاء الموضوع، في حال عدم وجود القصد، فلا يوجد العقد والأصل كذلك، فإنّ مقتضى الأصل عدم ترتب الأثر، لأنّ الأصل في المعاملات الصحة، إلّا إذا ثبت القصد وسائر الشرائط الأخرى في العقد.

وحاصل الكلام أنّه في حال كان هناك عقد بين الشركة والمشفى، أو المشفى والمريض أو ذويه، وكان

هناك قصدٌ - تابعٌ للعقد - من قبل الطرف الأول في هذا العقد، في قدرة هذه الأجهزة والروبوت مثلاً القيام بالوظيفة الطبية الموجهة إليه، وفي حال عدم تحقق القصد وهو عدم تمكن هذه الأجهزة أو الروبوت من أداء الوظيفة الطبية في المشفى، أو عدم أداء وظيفتها المقصودة للمريض، فعندها يكون العقد باطلاً ويحق للطرف الثاني المطالبة بالعوض.

الخاتمة:

إنَّ الملاحظ في العالم اليوم تطور وتقدم استخدام الذكاء الاصطناعي بشكل متسارع، ليشمل جميع مجالات الحياة، لا سيما في المجال الطبي كما ذكرنا، حتى توسّع ليؤدي مهام الطبيب في تشخيص الأمراض وتحديد العلاج وغير ذلك، ومن ثمَّ يمكن أن يُستفاد من الأخبار المطلقة، وما يرتبط بها ويتفرّع عنها من القواعد الفقهية، وكذا الأدلة العقلية في الاستدلال بها على مشروعية استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي في المجال الطبي.

٥. ظ: ابن ادریس، السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي: ٣ / ١٣٨.
٦. المجلسي، بحار الأنوار: ٥٩ / ٦٥؛ النوري، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ١٦ / ٤٢٦؛ ابن حيون، دعائم الإسلام: ٢ / ١٤٣.
٧. إسماعيل بن موسى بن جعفر، الجعفریات أو الأشعثیات: ١٦٧.
٨. النوري، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ١٦ / ٤٣٧، ح ٦.
٩. الحسن بن الفضل الطبرسي، مكارم الأخلاق: ٣٦٢؛ المجلسي، بحار الأنوار: ٥٩ / ٦٦.
١٠. المصدر نفسه.
١١. ظ: محمد كاظم المصطفوي، القواعد: ١٢٣.
١٢. الكليني، الكافي: ٥ / ٣١٣، ح ٣٩، الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٧ / ٨٨، ح ١.
١٣. المصدر نفسه.
١٤. ظ: النجفي، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: ٣٦ / ٢٣٧.
١٥. ظ: باقر الإيرواني، دروس تمهيدية في القواعد الفقهية: ١ / ٨٩.
١٦. ظ: الخوئي، مصباح الأصول: ٢ / ٥٢١.
١٧. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٨ / ٣٢، ح ٣.
١٨. ظ: محمد بن الحسن الحلبي (ابن العلامة)، إيضاح الفوائد: ٢ / ٤٨.
١٩. ظ: مرتضى الأنصاري، رسائل فقهية: ١١٨.
٢٠. ظ: محمد حسين الأصفهاني، حاشية كتاب المكاسب: ١ / ٣٢٤.
٢١. ظ: الآخوند، كفاية الأصول: ٢ / ١٩٤.
٢٢. ظ: علي الحسيني السيستاني، قاعدة لا ضرر ولا ضرار: ١٣١.
٢٣. ظ: النراقي، مستند الشيعة في أحكام الشريعة: ١٥ / ١٧؛ الأنصاري، رسائل فقهية: ١١٢؛ البجنوردي، القواعد الفقهية: ١ / ٢١٥.
٢٤. ظ: محمد طاهر الشيخ راضي، بداية الوصول: ٧ / ٣٠٠.
٢٥. ظ: الأنصاري، رسائل فقهية: ١٢١.
٢٦. ظ: علي السيستاني، قاعدة لا ضرر ولا ضرار: ١١.
٢٧. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٨ / ٣٢، ح ٣.
٢٨. ظ: البجنوردي، القواعد الفقهية: ٣ / ٤٥، ناصر مكارم الشيرازي، القواعد الفقهية: ٢ / ٤٠٣.
٢٩. ظ: النراقي، عوائد الأيام: ٤٨٧؛ وظ: الكليني، الكافي: ٣ / ٥٢٨.
٣٠. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٢٣ / ١٨٤، باب ٣، ح ٢.
٣١. ظ: البجنوردي، القواعد الفقهية: ٣ / ١٣٥.

١. ظ: أحمد البرعي، تطبيقات الذكاء الاصطناعي والروبوت من منظور الفقه الإسلامي: ١١٩.
٢. ظ: محمد غريب عميش، النانوبيولوجي (عصر جديد من علوم الحياة): ٣١.
٣. ظ: أحمد ماء العينين، روبوتات النانو مستقبل العلاج، الموقع: www.alaraby.co.uk/entertainment_media.
٤. ظ: عمرو راجح، الروبوت الجراحي خيال علمي أصبح واقعاً طبياً متطوراً، موقع العربي، <https://aja.ws/bpvdvx>

مع الحق

■ النبي الأمي محمد ﷺ

د. إبراهيم الشامي
جامعة صنعاء/ اليمن

النبي الأمي محمد ﷺ

د. إبراهيم الشامي
جامعة صنعاء/ اليمن

تظلّ مسألة أمية النبي ﷺ بمعنى عدم معرفته القراءة والكتابة مثار جدل ونقاش على مدى التاريخ بين المفسرين والمحدثين والمتكلمين، والرأي المشهور بين المسلمين هو القول بعدم قدرته على القراءة والكتابة، معلّين ذلك بأنه أكثر تأكيداً على أن ما جاء به النبي ﷺ هو وحي ورسالة إلهية، وقطعاً للطريق على أية شبهة يدّعي من خلاها الكافرون من أهل الكتاب ومن مشركي قريش بأنه استقى ما عنده من علم وهدى من الأديان السابقة وكتبها.



باب مراجعة السياق الذي وردت فيه هذه اللفظة، والاستفادة من منهج تفسير القرآن بالقرآن. وستطرق في هذا المقال المختصر للنقطة الأولى، ونرجى الحديث عن الأخرى إلى مقال آخر. أولاً: تراث أهل الكتاب عموماً:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ بآثَمِهِمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

إنما انطلقنا في هذه النقطة من القرآن الكريم لتأصيل البحث، والتعريف بأصل استخدام اللفظ، وأن القرآن الكريم يبين بأن اليهود هم الذين أطلقوا هذا اللفظ على غيرهم، وعندما يقول اليهودي: ليس علينا في الأميين سبيل، فإننا سنسأله ماذا تقصد بالأميين؟ فسيجيب بحسب تراثه: هم الأمم الأخرى غير اليهود.

إذن فاليهود هم مَنْ أطلقوا هذه اللفظة على غيرهم من الأمم، تنقصةً منهم وسلباً لحقوقهم، وهذا يطابق ما ورد في تراثهم كما في التوراة: ((يَا جَمِيعَ الْأُمَمِ صَفِّقُوا بِالْأَيْدِي. اهْتَفُوا لِلَّهِ بِصَوْتِ الْإِهْتِهَاجِ. لِأَنَّ الرَّبَّ عَلَيَّ خَوْفٌ، مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ. يُخَضِّعُ الشُّعُوبَ تَحْتَنَا، وَالْأُمَمَ تَحْتَ أَقْدَامِنَا))^(١).

ومن جملة أقوال اليهود في التلمود أيضاً: ((أشكر أنت الرب الذي لم تخلقني امرأة ولا أمة ولا عبداً)) (الخدمة اليومية في المجامع)^(٢).

وفي التلمود البابلي: ((إن الله لا يغفر ذنباً لليهودي يرد للأمي ماله المفقود، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب))^(٣).

فالتراث اليهودي مملوء بالحديث عن الأمم وكرهيتهم واحتقارهم، وهذه العنصرية الواضحة في الفكر اليهودي أدت إلى أن ينقسم الناس في

من أهم الاستدلالات التي استدل بها المثبتون هو وصف النبي ﷺ في القرآن والحديث بـ(الأمي) ووصف قومه ومجتمعه بـ(الأميين)، فالأمي بحسب نظرهم هو مَنْ نشأ وعاش كما ولدته أمه، فهو لا يعرف القراءة والكتابة.

في هذا البحث المختصر سنحاول أن نناقش هذه الاستدلالات، ونفهم هذه النصوص في ضوء قواعد عامة، عبر سلسلة من المقالات بإذنه تعالى، وسنحاول التركيز على فهم مفردة (الأمي) و(الأميين) بشيء من التفصيل، كونها هي المسألة المحورية التي تدور عليها باقي الاستدلالات.

الأميون عند أهل الكتاب:

إن الشواهد المتعددة في القرآن الكريم وغيره تدل على أن لفظة (الأميين) والمفرد منها (الأمي) كانت موجودة قبل نزول القرآن الكريم، فهي ليست حقيقة شرعية - كما يعبر عنه في علم أصول الفقه - أسسها الإسلام، بل يفهم من هذه الشواهد أن مصدر هذه اللفظة هم أهل الكتاب يعني اليهود على وجه الخصوص، وقد أطلقوها على غيرهم من الأمم، وبهذا يصبح من الطبيعي أن نتبع ونطلع على معنى هذه اللفظة في تراثهم وكتبهم الدينية، وعلى رأسها التوراة أو العهد القديم وامتداداً لها العهد الجديد، وكذلك التلمود، وهو من التراث اليهودي أيضاً.

وسنقسم البحث في هذه النقطة على قسمين: الأول: مراجعة معنى هذه اللفظة (الأمي) في التراث اليهودي على الخصوص، وتراث أهل الكتاب على العموم، انطلاقاً من آيات القرآن الكريم نفسه. الثاني: مراجعة الاستعمال القرآني لهذه اللفظة، من

على غيرهم، ويقصدون بها الأمم الأخرى، الذين ليسوا من أهل الكتاب بحسب معتقدهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

وعموماً، فوجود جماعة من الناس في عصر النبوة لديهم كتب سماوية، وجماعة أخرى ما أتاهم من نذير، سيؤدي بالنتيجة إلى وجود جماعتين تحيط بالدعوة الإسلامية، هما أهل الكتاب والأميون، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، فهذا تقسيم جامع لكل أفراد المجتمع المحيط بالنبي ﷺ، وهو تقسيم منطقي تام، فالناس إما من طائفة أهل الكتاب، وإما ليسوا منهم، وهم من يُسمون بـ(الأميين)، يقول الرازي في مفاتيح الغيب في ذيل تفسير هذه الآية: الآية متناولة لجميع المخالفين لدين محمد ﷺ، وذلك لأن منهم من كان من أهل الكتاب، سواء أكان محققاً في تلك الدعوى كاليهود والنصارى، أم كان كاذباً فيه كالمجوس، ومنهم من لم يكن من أهل الكتاب، وهم عبدة الأوثان^(٧).

وأساس هذا التقسيم ليس القدرة على القراءة والكتابة من عدمها، بل أساسه هو نزول كتاب سماوي على قوم دون أقوام أخرى (أهل الكتاب ومن ليسوا أهل كتاب)، والفارق كبير بين الموضوعين. إذن فالمجتمعات التي نزلت فيها رسالة الإسلام والقرآن تنقسم على قسمين:

الأول: أهل الكتاب، وهم من بعث إليهم الأنبياء والرسول، وأتى رسلهم بكتب سماوية وهم بالأخص اليهود والنصارى^(٨) وأكثر التعبيرات القرآنية بـ(أهل الكتاب) تتعلق باليهود، وبإلقاء نظرة على الديانتين اليهودية والنصرانية نعرف أن بينهما اتصالاً

نظرهم على قسمين: (اليهود) بعنوان أنهم شعب الله المختار، وغيرهم من الناس الذين يعتقدون أن بشريتهم ناقصة، بل هم أشباه الإنسان.

وتعامل القرآن الكريم مع هذا التقسيم لا يعني التسليم بصحة ادعاء أهل الكتاب طبعاً، بل أن القرآن الكريم مملوء برد ادعاءات اليهود الباطلة، ومن ضمنها ادعاؤهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقد قال تعالى لهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٨].

أضف إلى هذا أن العنصرية اليهودية لم ترحم المسيحية، على الرغم من تقاربها معها؛ لأن المسيحية توسعت في مفهوم (أبناء الله وأحباؤه)، بحيث تشمل من آمن بالمسيح ﷺ من الأمم من غير اليهود أو (بنو إسرائيل)، مثل الخطاب المذكور في إنجيل (متى): ((فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض ١٩ فازهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس. ٢٠ وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به))^(٩)، وفي نص آخر: ((وكان يعلم قائلاً لهم: أليس مكتوباً: بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم؟! وانتم جعلتموه مغارة لصوص))^(١٠).

فالمسيحيون مغضوب عليهم عند اليهود؛ لعدة أسباب منها: أنهم يعدّون من ضمن الأمم الوثنية بنظرهم، وبهذا يدخلون في دائرة الأمم المستباحة، يقول الدكتور روهلنج: يستفاد من الشروحات أن كل ما جاء في التلمود بخصوص باقي الأمم غير اليهودية كلفظ (أميين، أو أجانب، أو وثنيين) المراد منها المسيحيون^(٦).

ويضاف ما ذكرناه في هذه النصوص إلى ما سبقه في الدلالة على أن الأميين لفظة أطلقها اليهود

المقدس، وبالطبع هذه الأمم ليست أهل كتاب سماوي، وبذلك لم تعرف بالعلم والهداية، وكانت تعرف وتنعت من قبل أهل الكتاب بالجهل والوثنية والخطيئة.

إذ يذكر في كتابهم المقدس مفتخرًا باليهود: ((نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة))^(٩)، وكذلك تلمود اليهود الذي ألفه علماءهم على مدى مئات السنين، يتحدث عن الأُميين بعنوان أنهم الأمم الأخرى غير اليهود، وهي بنظرهم أمم لا حقوق لها، حيث يقول: ((إذا نطح ثور يهودي ثور أمي فلا يلتزم اليهودي بشيء من الأضرار، ولكن إذا كان الأمر بالعكس يلتزم الأمي بجميع قيمة الضرر الذي حصل لليهودي))^(١٠).

وليس المقصود من مفردة (الأمي) في هذه العبارات من لا يعرف القراءة والكتابة، وإنما المقصود منها من ينتمي إلى الأمم الأخرى غير اليهود. وفي عبارة أخرى في التلمود: ((إن الله لا يغفر ذنبًا لليهودي يرد للأمي ماله المفقود، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب))، وأيضًا في التلمود: ((مسموح غش الأمي، وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش)).

وسنجد الكتاب المقدس، وخصوص العهد القديم منه المتعلق بالديانة اليهودية - التي ترى أن العهد والميثاق متعلق بين الرب من جهة وخصوص بني إسرائيل من جهة أخرى - مليئًا بالحديث عن الأمم (الأغيار)، الذين كانوا موضع غضب الرب وبني إسرائيل عادة.

وقد ورد في الكتاب المقدس عندهم: ((فَإِنِّي أَطْرُدُ الْأُمَمَ مِنْ قَدَامِكَ وَأَوْسَعُ نُحُومَكَ))^(١١). وورد فيه أيضًا: ((مَتَى قَرَضَ الرَّبُّ إِيْلَهُكَ مِنْ أَمَامِكَ الْأُمَمَ الَّذِينَ أَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَيْهِمْ لِتَرْتَهُمْ، وَوَرَثَتَهُمْ

كبيرًا، يجعل خطاب أحدهما يعد خطابًا للآخر في كثير من العبارات، وبغض النظر عن صلاح أهل الكتاب وفسادهم، فقد ثبتت عليهم تسمية أهل الكتاب، وهذا لا يعني بالضرورة ميزة لهم، بل قد تكون هذه التسمية، مع عدم خضوعهم للحق وتكبرهم عليه، منقصة لهم، كما هو حال الانتقادات الكثيرة لهم في القرآن الكريم، لا سيما اليهود، قال تعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ومن لوازم اتصاف جماعة أو أمة بأنهم أهل الكتاب، أن يكون فيهم العلم والمعرفة الناشئة من الاطلاع على ما في الكتاب من علوم ومعارف، لا سيما إذا كان كتابًا سماويًا ربانيًا، وعلى الرغم من انحراف الأغلبية من أهل الكتاب عن تعاليمه إلا أنهم عُرفوا عند الناس بأنهم أهل العلم، لما ورد في الكتاب السماوي من علوم ومعارف، قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

وعلى الرغم من أن الكفار كلهم يشتركون في عدم الإيمان بالنبي ﷺ ورسالته وشريعته، إلا أن التعبيرات القرآنية في أكثر من موضع فصلت بين أهل الكتاب وغيرهم من الكفار، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١] وقوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥].

الثاني: (الأميون) وهم الأمم الأخرى غير (أهل الكتاب)، لا سيما غير اليهود، وفي المحيط الذي نزل فيه القرآن هم العرب، وقد ورد التعبير المشابه لهذا المصطلح وهو (الأمم) فيما يسمى بالكتاب

وَسَكَنْتَ أَرْضَهُمْ)) (١٢).

وفي عبارة أخرى: ((خرج من اسرائيل ابناء منافقون فاغروا كثيرين قائلين هلم نعقد عهدا مع الأمم)) (١٣).

ومن مراجعة تراث اليهود والنصارى وكتبهم المقدسة واستقراءها نجد أنها مليئة بكلمات من قبيل (الأمي)، (الأميين)، (الأمم) أو نظيراتها كـ(الشعوب) و(الناس).

يستشف هذا الفهم من اقتران كلمة (أمي) وأخواتها مثل (أميين) في القرآن الكريم بالحديث عن أهل الكتاب، كما استعرضنا بعض الآيات القرآنية، وأيضاً يستند هذا الفهم إلى كون هذه اللفظة قد وردت في الكتب السماوية السابقة بهذا المعنى، وهي كغيرها من المفردات الواردة بمعناها المفهوم من الكتب السماوية السابقة، أو حتى ثقافة قريش قد تعامل معها القرآن الكريم بمعناها السابق.

وهناك عديد من المفردات والمعاني التي أثبتتها القرآن الكريم، لم تكن جديدة أو مؤسسة من بعث النبي ﷺ مثل مفهوم أهل الكتاب ومفهوم الحنيفية، التي يعود أصلها لإبراهيم عليه السلام، بل هناك ألفاظ لشعائر وعبادات كانت سابقة وأقرها الإسلام كالحج والصوم وغيرها.

ولكن القرآن الكريم والدين الإسلامي يبين الخطأ فيها من الصواب، سواء أكانت قناعات أم ممارسات، ولا يتقبلها كيفما وردت بقضها وقضيضها.

وهنا لا بد أن نفرق بين معنى المفردة نفسه وملازماته، فمعنى كلمة (الأمي) عبر ما ذكرناه هو من ينتمي إلى الأمم الأخرى، وهو المفهوم المقابل لمفهوم (أهل الكتاب)، ولوازم هذا المفهوم هي ما يقابل لوازم مفهوم أهل الكتاب من توحيد وعلم وبعثة الأنبياء ﷺ للهداية وغيرها، وبالتالي التصقت مفاهيم منها

الوثنية والجهل والضلال بالأميين.

وكما أن الكافر قد يُسلم والضال قد يهتدي فإن الجاهل قد يتعلم، ولكن اليهود صوروا لأنفسهم كما سئلوا أن الأميين أو الأمم غير قابلة لا للتعليم ولا للهداية ولا للتطور.

فالأميون في مقابل أهل الكتاب هم الأمم التي لم ينزل عليها كتاب، وهم من ورد فيهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَتَنْذِرُ قَوْمًا مَا أُنذِرُ آبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس: ٦]. فهم لم يكونوا من أهل الكتاب، ولكن قد اختار الله منهم هذه المرة النبي الخاتم، وجعلهم أهلاً لنزول الكتاب فيهم، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

١. الكتاب المقدس التورات سفر المزامير: ٤٧ آية ١-٣.

٢. أنطونيوس فكري، شرح الكتاب المقدس، تفسير إنجيل يوحنا، شرح آية ٢٧.

٣. محمود قدح، الأسفار المقدسة عند اليهود: ٣٧٣.

٤. الكتاب المقدس إنجيل متى إصحاح ٢٨ آية ٢٠: ١٨.

٥. المصدر نفسه: إنجيل مرقس إصحاح ١١ آية ١٧.

٦. مصطفى الزرقاء، الكنز المرصود في قواعد التلمود: ١٦.

٧. الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: ١٨٥/٧.

٨. هناك نقاش بين أهل العلم حول بعض الطوائف الأخرى وإلحاقها بأهل الكتاب كالصائبة الذين يعدون من فروع النصارى وكالمجوس.

٩. الكتاب المقدس الغلاطيين: ٢: ١٥.

١٠. التلمود، غامرة: ٣٦.

١١. الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الخروج ٢٤: ٣٤.

١٢. المصدر السابق سفر التثنية ٢٩: ١٢.

١٣. الكتاب المقدس، سفر المكابيين آية ١٢: ١.

بلسانِ علويٍّ مُبين

د. عمّار حسن عبد الزهرة
وزارة التربية/ المديرية العامة
للتربية في كربلاء

■ مَسْكُوكَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
(الْمَرْءُ مَحْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ) اخْتِيَاراً

م.م . أحمد موفق مهدي
جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

■ الْخِطَابُ الْبَلَاغِيُّ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بَيْنَ فُيُوضِ الْقُرْآنِ وَجَلَاءِ الْبَيَانِ



مَسْكُوكَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ) اخْتِياراً

د. عمّار حسن عبد الزهرة

وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في كربلاء

يميل اللسان العربي إلى الإيجاز بالتعبير، ويحذف كلّ ما من شأنه أن يدلّ دليلٌ عليه أو تُرشد قرينة إليه، ولذلك غالباً ما تشيع فيه العبارات الموجزة ذات التكثيف الدلالي والتراكم المعنوي، وعند مراقبة اللسان العربي، ولا سيّما الذي يتّسم بالإبداع، فإنّنا نجدّه يسير باتجاهين:

الأوّل: الإيجاز باللفظ على أقصى ما يكون، والآخر: تراكم دلالي بأعلى ما يكون، وهذه الميزة تُعدّ من مواطن المبالاة في الفصاحة والبلاغة، ومن يتميّز بها يتصدّر الوعي اللغوي ويرتفع مقامه في الأداء البياني، على أنّنا لا نقول: إنّ المقامات تستدعي الإيجاز في كلّ حال؛ ولكنّه سمة بارزة ولا ننفي أن يكون للإطناب مواطنه التي يحسن فيها.

فإذا تكلمَ ظهرَ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠] ^(٥)، وهو ما أكدّه الثعالبي (ت: ٤٢٩ هـ): ((وقوله ﷺ: المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه، مقتبسٌ من قصّة يوسف ﷺ، ﴿فَلَمَّا كَلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ^(٦)، وأكّده أيضًا علي بن زيد البيهقي (ت: ٥٦٥ هـ) بما نقله بقوله: ((إن قول المرء مخبوءٌ تحت لسانه، مأخوذ من قول الحق تعالى: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ^(٧))).

خير شاهد:

صار المفسرون بعد ذلك يتخذون من هذه المسكوكة شاهداً تفسيريّاً في قصّة يوسف ﷺ، ولا سيما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، ومنهم ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦ هـ) ومن ذلك قوله: «وهذا الذي أمّ يوسف ﷺ يتشبهه في السجن، أن يرتقي إلى أعلى المنزل، فتأمل أن الملك قال أولاً - حين تحقق علمه - ﴿اَتُّونِي بِهِ﴾ [يوسف: ٥٠] فقط، فلما فعل يوسف ما فعل، فظهرت أمانته وصبره وعلو همّته وجودة نظره قال: ﴿اَتُّونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾، فلما جاءه وكلمه قال: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ فدلّ ذلك على أنّه رأى من كلامه وحسن منطق ما صدق به الخبر أو أربى عليه؛ إذ المرء مخبوءٌ تحت لسانه» ^(٨)، واستشهد بها أيضًا أحمد محمود خليل الشوابكة في بيانه للمورد المذكور آنفاً من سورة يوسف ﷺ فقال: «فقد كان يُوسُفُ ﷺ ملء الأذن كما هو ملء العين، وملء المسامع والنهي، وحقق الحديث أدل على الرجل من لباسه، وصدقاً المرء مخبوءٌ تحت لسانه» ^(٩)، وكذلك جعلها جابر بن موسى ممّا يترشح عن معاني الآيات الكريمة التي جاءت في سورة يوسف ﷺ ^(١٠)، فكانت شاهداً تفسيريّاً في

وما يهّمنا من الإيجاز هو تلك العبارات التي حملت بين طياتها دلالات عميقة بمعانٍ واسعة وبألفاظ موجزة، وهي ما تُسمّى في علم اللغة (الحديث) بالمسكوكات اللغوية، التي ما إن يتفوّه بها أصحابها حتّى تنتشر بين المتكلمين، فيستسيغونها؛ لما تحمل من بعدٍ معنويٍّ يختصر حوادث ودلالات طويلة بألفاظ موجزة، ومن روادها في اللغة العربية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، الذي يُعدّ كلامه إمام البيان ما خلا كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، ومما ورد عنه بهذا الصدد ما جاء في قوله: ((المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه)) ^(١١)، وهذه مسكوكة لغوية اختصرت مساحات واسعة من المعاني، واستساغتها الجماعة اللغوية، فانتشرت على لسانها لما تحمل من مستويات في التلقي والتعبير.

وهذه المسكوكة تعدّ «من أشرف الكلام وأحسنه، وأكثره معنى وأخصره؛ لأنك لا تعرف الرجل حق معرفته إلّا إذا خاطبته وسمعت منطقه، ولذلك قال بعضهم وقد سئل في كم تعرف الرجل؟ قال: إن سكّت ففي يوم، وإن نطق ففي ساعة» ^(١٢)، وقيل فيها أيضًا: ((ارتجل عليّ بن أبي طالب ﷺ تسع كلمات، قطعت أطماع البلغاء عن واحدة منهن: ثلاث في المناجاة، وثلاث في العلم، وثلاث في الأدب... وأمّا التي في العلم فقوله: المرء مخبوءٌ تحت لسانه، ما ضاع امرؤ عرف قدره، تكلموا تُعرفوا)) ^(١٣)، وهي من الكلمات التي قيل فيها: ((أيمن جواهر الكلام، وأيتمن حقائق البلاغة، وقطعن أطماع المحاولين عن اللحاق بهن)) ^(١٤).

وهي إحدى كلمات أمير المؤمنين ﷺ الأربع اللاتي قال فيهنّ: ((قلتُ أربعاً أنزلَ اللهُ تعالى تصديقي بها في كتابه، قلتُ: المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه

بيان كلام الله تعالى ومراده.

فلم يبقَ إلا صورةُ اللحمِ والدمِ

وكان يحيى بن خالد يقول: ما جلس إلي أحد قط إلا هبته حتى يتكلم، فإذا تكلم إما أن تزداد الهيبة أو تنقص»^(١٣).

واستشهد بها العلماء والأدباء في أثناء شرحهم لبعض مزايا الإنسان وفضائله، ومنهم ابن بسام الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ) في بيانه لأجل النعم، التي ينعمها الله تعالى على عبده، ومنها اللسان فقال: «ولسان مبین يفيضه عليه فيعرب به عن نفسه، ويكشف عن حقيقة ذاته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال ﴿سَلَقُوكُمْ بِالْإِسْنَةِ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]، وقال: ﴿أَوْمَنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]، وقال: قيمة كل امرئ ما يحسن، وقال: المرء مخبوء تحت لسانه»^(١٤)، وفي موضع آخر يستشهد بها أيضاً في بيانه للعلة التي يختار الملوك أن يُربوا أبناءهم على قسوة العيش بدلاً من العيش الرغيد فيقول: «قال عليّ عليه السلام: قيمة كل امرئ ما يحسن، وقال: المرء مخبوء تحت لسانه، ولذلك كانت الملوك تعدل ببنيتها عن التمتع إلى شطف العيش، وتدني محالهم من البادية، وتبوءهم منازل الفصاحة، لتحثهم أفتدتهم، وتمتد ألسنتهم، وينسابوا في لصاب الدهاء، ومزاحف النكراء، فيجيدوا الحز، ويطبّقوا المفصل، ويسوسوا النوب، ويكتبوا الخصوم، ويخرجوا من الغمّاء، ويمضوا قدما في الشنعاء»^(١٥).

ومن الاستشهادات أيضاً ما نقله شمس الدين

ولم يقف الأمر عند حدود الآية محلّ النظر، بل تجاوز ذلك إلى أن تكون شاهداً تفسيرياً في آياتٍ أخرى، ومن ذلك ما أورده الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) عندما اتخذ منها شاهداً تفسيرياً لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣ - ٤] فقال: ((ولم يقل: وعلمه البيان، إذ جعل قوله: (عَلَّمَهُ) تفسيراً لقوله: خَلَقَ الْإِنْسَانَ؛ تنبيهاً أن خلقه تعالى إياه هو تخصيصه بالبيان الذي لو توهم مرتفعاً عنه لكانت الإنسانية مرتفعة، ولذلك قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة، وقيل: المرء مخبوء تحت لسانه))^(١٦).

ولم يقف الأمر عند حدود القرآن الكريم بل تجاوزته إلى السنة النبوية فجعلها القرّافي (ت: ٦٨٤هـ) شاهداً دلاليّاً في شرحه لأحد أقوال النبي محمد ﷺ فقال: «وَسَادِسُهَا أَنَّ قِيَمَةَ الْإِنْسَانِ مَا يُعْلَمُهُ لَا مَا يَعْلَمُهُ؛ لِقَوْلِ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ»^(١٧).

وانشرت هذه المسكوكة في كلام الناس، ونظموا في ضوئها شعراً، ومن ذلك ما نقله ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ) في قوله: «هذه إحدى كلماته عليه السلام التي لا يُقدَّر قدرها، والمعنى قد تداوله الناس قال:

وكائن ترى من صامتٍ لك معجبٍ

زيادته أو نقصه في التكلّم

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ

المقدسي (ت ٧٦٣هـ) بقوله: «وَقَالَ ابْنُ عَقِيلٍ فِي الْفُنُونِ: وَلَا يَصْلُحُ لِلْكَلامِ عَلَى الْعَوَامِّ مُلْحَدٌ وَلَا أَبْلَهُ، وَكِلَاهُمَا يُفْسِدُ مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَقَالَ: الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْكَشِفَ قَصْدُهُ مِنْ صَفَحَاتٍ وَجْهِهِ وَقَلْبِهِ أَوْ لِسَانِهِ»^(١٦).

ويبدو أنَّ هذه المسكوكة انتشرت على ألسن الناس ولا سيما الكتاب والأدباء، فاستشهدوا بها في أثناء كلامهم، ومَن استشهد بها أيضًا المناوي (ت ١٠٣١هـ) في قوله: «فعلى العاقل سببًا الفاضل أن يميز بين أشكال الكلام قبل النطق؛ ليكون على بصيرة من نفسه وبيته من ربه... لأن المرء مخبوء تحت لسانه، وهو المنبئ عن شأنه فحاله مستور ما لم يتكلم»^(١٧)، وكذلك فعل الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) عندما بيّن أهمية الصمت في محله فقال: «الصمت زين للعالم»؛ لما فيه من الوقار وحسن السمات والتحفظ عن السقطات، فإن من كثرت لفظاته كثرت سقطاته، (وستر للجاهل)؛ لأن المرء مخبوء تحت لسانه كما قاله الوصي (كرم الله وجهه)، وهو مخبر عن شأنه، فحاله مستور ما لم يتكلم»^(١٨)، ومنهم أيضًا السجلماسي (ت: ١٢٩٠هـ) بقوله: «وقد علمت أعزك الله أن اللذة انبساط باختلاس، وأكل اللذات استنباط حكم همم الجلاس، لأن همة المرء ميزان عقله، وبرهان فضله، وأكثر ما تظهر في قوله، المرء مخبوء تحت لسانه»^(١٩).

دلالات ليس لها حدود:

أمّا دلالاتها فمما لا يمكن حصره عند حدود معينة، نستطيع الإحاطة بها في هذه المقام، ولكن سنذكر بعض ما قيل فيها: «قوله: المرء مخبوء تحت

لسانه، ما يتصوره الإنسان بذهنه يتخيّل له الفاظاً دالة بالوضع عليها. فيكون دلالة اللفظ على المعنى الذي في الذهن كدلالة الكتابة على اللفظ. فبالكتابة يعرف اللفظ، واللفظ مخبوء تحت الرقوم، يعني رقوم الكتابة، والمعنى مخبوء تحت اللفظ. واللسان آلة النطق، كما أن القلم آلة الكتابة»^(٢٠)، وقيل فيها أيضًا: «وقال عاكف: المرء مخبوء تحت لسانه، فاستعار لفظ المخبوء له: باعتبار أنه لا يظهر مقداره حتى يتكلم فيعرف كالمخبوء»^(٢١)، ومما قيل فيها أيضًا: «إن المرء مخبوء تحت لسانه، والمقصود من جهة "تحت" إنّما هي الجهة الوهميّة لا المكانية، وإنّما خصّصها بجهة "تحت"؛ لأن العبارة التي هي المقصود من وضع اللسان لما كان سبباً يكشف لذلك الستر، ويظهر معرفة المرء من خباء الجهل به إلى ظاهره بالانتقاش في أذهان المختبرين، وكان السبب أعلى من المسبب، لا جرم كان المسبب الذي هو المعرفة تحت سببه الذي هو اللسان المشار إليه»^(٢٢)، وكذلك قيل في دلالاتها: «أي حاله مستورة في عدم نطقه، فحذف المضاف للعلم به، وتحت لسانه كناية عن سكوته، وذلك أن مقداره بمقدار عقله، ومقدار عقله يعرف من مقدار كلامه؛ لدلالته عليه، فإذا تكلم بكلام الحكماء ظهر كونه حكيمًا، أو بكلام السفهاء عرف كونه منهم، وما بين المرتبتين بالنسبة»^(٢٣)، وقيل في شرحها أيضًا: «يعني أن الرجل إذا تكلم يظهر كونه فصيحاً أو معجباً، عالماً أو جاهلاً، خيراً أو شراً، وإن لم ينطق كان جميع ذلك مستوراً عليه عند العامة، ثمّ الظاهر أن السكوت عمّا يشعر بفساد الرأي وقبح العقائد من شعب الاعتدال في القوة الفكرية، وعمّا يشعر بالهتك والترفع والغلبة والذم في أعراض الناس من شعب الاعتدال في القوة الغضبية، وعمّا يشعر بالميل إلى المستلذات والمشتهيات من شعب

- الاعتدال في القوَّة الشهويَّة والهدر المقابل له من شعب الانحراف في هذه القوى»^(٢٤).
- مَّا سَبَقَ يَظْهَرُ كَيْفَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَحَاطَ بِفَنُونِ الْكَلَامِ، وَتَحَكَّمَ بِأَسَالِيبِ الْفَصَاحَةِ، فَكَانَ كَلَامُهُ سَيِّدَ الْكَلَامِ بَعْدَ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ بِلا مَنَازَعٍ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَكَلَامُهُ فَرَعٌ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، مُقْتَبَسٌ مِنْ مَفَاهِيمِهِ، يَنْبَعُ مِنْ رَوَافِدِهِ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، وَلِذَلِكَ كَانَ كَلَامُهُ شَاهِدًا فِي كُلِّ عُلُومِ اللُّغَةِ.
٥. الشيخ الطوسي، الأُمالي: ٤٩٤، الشجري، ترتيب الأُمالي الخميسية: ١/١٧٧.
 ٦. الثعالبي، الاقتباس من القرآن الكريم: ١/١٨٩، ط: ابن شهر آشوب، المناقب: ٢/٤٨.
 ٧. علي بن زيد البيهقي، تاريخ بيهق: ٣٥٥.
 ٨. ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/٢٥٥.
 ٩. أحمد محمود خليل الشوابكة، غرر البيان من سورة يوسف ﷺ في القرآن: ١٢٣.
 ١٠. جابر بن موسى، أسير التفاسير لكلام علي الكبير (ومعه حاشية نهر الخبز): ٢/٦٢٤.
 ١١. الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة: ١٩١ - ١٩٢.
 ١٢. القرَّافي، الذخيرة: ١/٤٦.
 ١٣. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (ت: ٦٥٦ هـ): ١٩/٣٤٠.
 ١٤. علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ١/٢٢٦.
 ١٥. المصدر نفسه: ١ - ٢/١٨٠.
 ١٦. شمس الدين المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية: ٢/٨٥.
 ١٧. عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤/٢٤١.
 ١٨. محمد بن إسماعيل الأمير، التَّنْوِيرُ سَرُّ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ: ٧/٧٢.
 ١٩. السجلماسي، إتخاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: ٤/١٧٣.
 ٢٠. علي بن زيد البيهقي، معارج نهج البلاغة: ٤٣١ - ٤٣٢.
 ٢١. ابن ميثم البحراني، اختيار مصباح السالكين: ٦١٦.
 ٢٢. ابن ميثم البحراني، شرح مئة كلمة لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٦٤.
 ٢٣. ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة: ٥/٣٢٧.
 ٢٤. مولى محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي: ١/٢٣٨.
 ١. المبرد، الفاضل: ٦، الشريف الرضي، نهج البلاغة: ٤٩٧، الثعالبي، الإعجاز والإيجاز: ٣٤، ابن حجر، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ٢/٣٧٩.
 ٢. أبو الحسين إسحاق بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان: ٥٨.
 ٣. ابن شمس الخلافة، الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة: ١٦، بهاء الدين، الكشكول: ١٧٠ - ١٧١.
 ٤. أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر: ٢/١٤.



الخطابُ البلاغيُّ للإمام عليٍّ بينَ فيوضِ القرآنِ وجلاءِ البيانِ

م.م . أحمد موفق مهدي

جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

لم تعرف اللغة العربية خطاباً أعمق من القرآن مع حسنه، وأناقة ألفاظه، وبديع نظميه، وعذوبة إيقاعه، ثقفته أفئدة كثير من أساطين الكلمة النافذة إلى القلوب، منذ مطلع الإسلام، فسكنت إليه نفوسهم، وامتنعت من رحيقه عقولهم، وامترجت به شغاف قلوبهم لا سيما الأدباء من الكتاب والشعراء، ومن ثم أخذت أساليب القرآن المشرقة وطرائق نظم عباراته، وفرائد ألفاظه تنتشر فيما ينشئون من كلامهم، وبيانهم من شعر أو خطابة أو ترسل، وأخذوا يستمدون منه براعة الفصاحة وجمال الأساليب، وروعة التصوير.

لذا أدرك الأديب العربي المسلم منذ نزول الوحي أن هذا الكتاب: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

علي والقرآن:

وهكذا كان الإمام عليه السلام متوجهاً نحو القرآن الكريم في توظيف آياته في منه الخطابي، فالتوظيف هو الالتزام والحفظ والمتابعة والاستيعاب والملازمة، وفي الاصطلاح بوصفه آلية من آليات الإبداع في الحفظ والاستيعاب والملازمة، وهو مما يستعان به في بناء النصوص وإنتاجها، فالناظر في خطبه عليه السلام، يلحظ أنه عمد إلى لفظ القرآن الكريم في أغلب خطبه، لأنه كان على صلة كبيرة بالقرآن، لذا كان للقرآن الكريم أثره البالغ في لغة الإمام، وأسلوبه، ومضامين إنتاجه الأدبي، ما جعلها الأفصح ألفاظاً، والأبلغ تركيباً، والأعمق تعبيراً، بعد كتاب الله عز وجل.

ومنها لفظتا (الليل والنهار) اللتين عمد إليهما الإمام، ووظفهما في خطابه، إذ يقول: ((وَقَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى حَرْبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلاً وَنَهَاراً))^(٤)، وهنا يوظف قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ [نوح: ٥].

فالإمام عليه السلام هنا يعقد موازنة بين دعوة نوح إلى

إن الإمام علياً عليه السلام تلميذ القرآن، الذي كان مذهبه في التعليم؛ لأنه أصل العلم وأساسه، لذا يطالعنا الإمام عليه السلام بثقافة واسعة تمثلت بموسوعة متكاملة بنهج البلاغة، وهذا ما نجده حقيقة ماثلة في خطبه في النهج، وهو الذي قال عن نفسه نحن أمراء الكلام^(١)، وتتمثل ثقافة الإمام بحفظ القرآن الكريم ورواية الحديث والشعر العربي، وكان ذلك كله منبعاً ثراً لانطلاق موهبته الشعرية، وهي تفصح عن ثقافته الموسوعية في علوم عصره ومعارفه، ولا سيما القرآن الكريم، إذ يقول: ((ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَكِنْ يَنْطِقْ، وَلَكِنْ أَخْبَرَكُمْ عَنْهُ: أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، والحديث عن الماضي، ودواء دَائِكُمْ، ونظم ما بَيْنَكُمْ))^(٢).

لقد اتخذ الإمام علي عليه السلام القرآن الكريم شرعة ومنهاجاً، مؤكداً هذا الأمر في ضوء منه الخطابي، إذ يقول: ((تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفْقَهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ))^(٣).

إن الإمام علي عليه السلام تلميذ القرآن الذي كان مذهبه في التعليم؛ لأنه أصل العلم وأساسه...

عبادة الله جلّ شأنه، ودعوته إلى الجهاد الذي يأمر به، ويحث عليه، ويرغب فيه، ويحذر من تركه، وما يتبعه من سوء العاقبة، وهذه الموازنة أفادها الإمام من لفظة "ليلاً ونهاراً" وأنه تفنن في نقل غرضه إلى الآخرين، واتبع كل الأساليب التي تمكنه من تصوير مأساته، وليلدك على عظم مصيبته، وهناك أمثلة كثيرة جداً لا يسع المقام ذكرها، فيمكن لك التأمل بين خطاب المولى عليه السلام والقرآن الكريم في ضوء المثال أنف الذكر.

الذي جاء فيه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وهكذا يطول بنا المقام — وهو لا يتسع لهذه الإطالة — لو ذهبنا نتقصى التوظيف المعنوي في خطب الإمام عليه السلام، لكننا نكتفي بملمح يسير من صورته، ونرى أن مما أسلفناه نستطيع أن نلاحظ دقة التوظيف، واختيار اللفظة مع التركيز على المعنى، فكل فقرة تؤدي معنى توظيفياً لا يتكرر، وإن كان كل معنى يتصل بسابقه، كما نجد في توظيفه أفكاراً مرتبة، ومتقاة وقوية الدلالة على المعنى.

التوظيف القرآني:

يلتمس القارئ المتفحص المتأمل أن الألفاظ القرآنية التي استخلصها الإمام عليه السلام من القرآن الكريم، قد أسبغت على النص الخطابي صفاء الأسلوب، ووضوحه، وسلامة اللفظ المدعوم بقوة المعنى، ما يدل على مهارة الإمام عليه السلام، وقدرته في توظيف اللفظة القرآنية ذات الجزالة، وقوة الإيحاء والامتانة، التي تدل على معرفته التامة بأسرار اللغة.

فالنمط الذي نحن بصددده هو نمط الألفاظ القرآنية التي استخلصها الإمام من القرآن الكريم، وهناك نمط آخر ممكن أن نسمة - تجاوزاً - بالتوظيف بالمعنى، محاولاً بذلك أن ينقل معنى النص القرآني إلى نصه الخطابي، وصولاً إلى بناء النص، ووفقاً لدلالة معينة يهدف إلى إيصالها كي يصل إلى الغاية البنائية والدلالية، فمن ذلك صفة (السماء) في إقرارها لله بالطاعة، نجدها واضحة في قوله: ((ناداها بعد إذ هي دخان))^(٥).

وهناك نمط آخر من التوظيف وهو التوظيف العلمي، فالبينة التي نزل بها القرآن الكريم، وهي بيئة شبه جزيرة العرب، كانت في حال من التخلف العلمي والديني والحضاري، فجاء القرآن يحمل مبادئ وأفكاراً فاقت كل تلك الأفكار المطروحة، وظل يتحدى حتى العصر الحاضر كل الأطروحات الأرضية في جوانبها كلها.

لذا ما جاء به القرآن الكريم من العلوم، ومع ما جاء به من الأخبار العلمية، التي لولا علمية القرآن، لما عرفنا شيئاً عنها، وإلى هذا المعنى أشار

يرجعنا هذا التوظيف المعنوي إلى النص القرآني

العلمية بطريقة بليغة، تبهج النفس وتوقظ العقل، ويبدو لي أنَّ هذا الاستخدام كان له أبعاد القدوة الحسنة يدركها السامع من السياق وقرائن الأحوال، التي تتمثل بالاقتداء في توظيف النص القرآني في خطاب المتكلم، حتى يقوي ويدعم النتائج المبتغاة.

الإمام عليه السلام بقوله: ((إِنَّ فِيهِ عِلْمٌ مَا يَأْتِي))^(٦)، تلك الحقائق العلمية التي أخبر القرآن عن كثير منها قبل وقوعها، وحدوثها، عرضها الإمام عليه السلام بأسلوب علمي مشوق، يخاطب العقل ويناجي الفكر ويشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض، وخفاء حاول الإمام عليه السلام أن يوظف بعضاً منها متخذاً من حقائقها العلمية الحكمة والموعظة الحسنة، مثلاً السمع والبصر وهما من نعم الله على عباده، التي لا يبلغها الإحصاء.

من هذا يفيد الإمام عليه السلام اذ يقول: ((جعل لكم أسماً لتعني ما عنها، وأبصاراً لتجلبوا عن عشاها))^(٧)، لذا قدم الإمام عليه السلام على البصر تبعاً للقرآن الكريم، إذ ذكر السمع أولاً في العديد من الآيات، منها: ﴿وَجَعَلْ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨)، وهنا نلاحظ إجمالاً ما ذكره علماء التفسير بأن جهاز السمع أرفع، وأدق من جهاز البصر، فهو يدرك المجردات، وقد أجمله الإمام عليه السلام في توظيفه للآية، وكان توظيف الآية جاء مرسلاً لدى الإمام، لا سيما أنه إمام البلاغة والفصاحة العربية.

وهناك أمثلة كثيرة جداً لا يسع المقام ذكرها، فيمكن لك التأمل بين خطاب المولى عليه السلام والقرآن الكريم في ضوء المثال أنف الذكر، فالإمام في توظيفه هذا أراد أن يبين الدلالة القرآنية التي ترتبط بذهن الإنسان في ضوء تكوينات صور خاصة، لتكون أبلغ تأثيراً في نفسه، وأشد وقعاً لتصنع تذكيراً جميلاً يشكل وحدة لغوية متكاملة.

وفي ضوء ما تقدم يتبين أن الإمام عليه السلام تمكن من عرض هذه العلوم بأسلوب أدبي بليغ، وهذا ما نجده حقيقة ماثلة في خطبه، إذ يسرد لنا أدق المسائل

١. ظ: د. علي محمد الصلابي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (شخصيته وعلمه): ٢٩٦.

٢. محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة: ٣ / ٣٥٣.

٣. المصدر نفسه: ٢ / ٤٨٣.

٤. نهج البلاغة: ٣٨٢.

٥. المصدر نفسه: ٤١٩.

٦. المصدر نفسه: ٣٥٩.

٧. المصدر نفسه: ١١٨.

مناهج الحياة

من قصار حكم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
(في ذكر الجنة)

قَالَ عليه السلام: ((الْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ)).

قَالَ عليه السلام: ((الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي)).

قَالَ عليه السلام في صفة الجنة: ((دَرَجَاتٌ مُتَفَاوِصَاتٌ وَمَنَازِلٌ مُتَفَاوِتَاتٌ لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَلَا

يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا)).

قَالَ عليه السلام: ((لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا)).

قَالَ عليه السلام: ((كَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَنَوَالًا)).

قَالَ عليه السلام: ((مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا)).

قَالَ عليه السلام: ((اهْتَبِلُوا هَبْلَهَا وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا)).



الصِّراطُ المُستقيم

م. د الشيخ حسين التميمي
مركز الدراسات والمراجعة العلمية
العتبة العباسية المقدسة

■ الإمام علي ؑ وقالع باب خير
دراسة علمية في ضوء القوة
المادية والتسديد الإلهي

الباحث: عمار الطريحي
النجف الأشرف

■ تأثير شخصية الإمام علي ؑ
في بناء الفرد والمجتمع



الإمام علي عليه السلام وقالع باب خيبر

دراسة علمية في ضوء القوة المادية والتسديد الإلهي

م. د الشيخ حسين التميمي
مركز الدراسات والمراجعة العلمية
العتبة العباسية المقدسة

منذ أربعة عشر قرنًا، بقيت الحادثة التي قلع بها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام باب حصن خيبر واحدة من أعظم المشاهد البطولية، التي خلدها التاريخ الإسلامي، فهي ليست مجرد واقعة عابرة في سياق معركة، بل حدث مركب يجمع بين البعد العسكري والبعد الروحي. وكذلك يمثل دليلاً على تداخل القوة الجسدية بالقدرة الإلهية، التي منحت للإمام علي عليه السلام باعتباره وصي النبي الأكرم ﷺ.

إن الدراسة العلمية لهذا الحدث تُظهر أنه لا يمكن إيجاد تفسيراً مادياً محضاً لهذا العمل البطولي، ولا اعتباره خارقاً للطبيعة خارج إطار الحكمة الإلهية، بل هو جمع قوة الإنسان الجسدية، والتسديد الرباني الذي جعل من الإمام علياً عليه السلام مثالاً لقدرته يتجاوز حدود الطاقة البشرية.

معركة خيبر:

في عينيهِ، فمسح النبي على عينيهِ فبرئت، ثم تقدّم الإمام علي عليه السلام إلى الحصن فبارز قادة اليهود وقتلهم واحداً تلو الآخر، حتى وصل إلى باب الحصن فقلعه من موضعه وجعله ترساً يقاتل به.

حصن خيبر:

إن المصادر التاريخية لا تذكر أبعاد الباب بشكل دقيق، لكن من المعروف أن أبواب الحصون القديمة كانت ضخمة جداً لردع المهاجمين، ومن الناحية الهندسية يمكن تقدير أبعاد الباب بارتفاع ثلاثة

معركة خيبر سنة ٧ هـ كانت واحدة من أصعب المعارك التي خاضها المسلمون، لأن اليهود تحصّنوا في قلاع منيعة، وجعلوا أبوابها الكبيرة المصنوعة من الحديد والخشب الحصين حواجز يصعب اختراقها، وقد حاول المسلمون فتح الحصون أكثر من مرة من دون جدوى، حتى قال النبي ﷺ: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كَرَّارٌ غير فَرَّارٍ، يفتح الله على يديه))^(١)، فدعا الإمام علياً عليه السلام وأعطاه الراية، وكان عليّ يعاني من رمد

باب خيبر بقوة جسدية، وإنما قلعت بقوة ربانية^(٢).

وهذا القول يفتح لنا باب التأمل في البعد النفسي والروحي للحدث، فالدراسات الحديثة في علم النفس الحركي تبين أن الحالات الذهنية القصوى، كالإيمان العميق أو الدفاع عن قضية مصيرية، يمكن أن تطلق طاقات إضافية في الجسد، حيث يرتفع إفراز الأدرينالين، ويزداد اندفاع الدم في العضلات، فيتمكن الإنسان من أداء أعمال غير مألوفة، وقد سُجِّلَت في العصر الحديث حالات لأشخاص رفعوا سيارات لإنقاذ أطفال عالقين تحتها، وهو ما يُسمى بـ "قوة الطوارئ الفائقة"، لكن ما فعله الإمام علي عليه السلام يتجاوز هذا المستوى؛ لأن الحادثة لم تكن لحظة عابرة بل فعل متواصل، إذ استخدم الباب نفسه كترس يقاتل به حتى نهاية المعركة، وهو ما يحتاج إلى ثبات واستمرار لا إلى اندفاع لحظي فقط.

وأما شهادات المؤرخين فقد جاءت لتؤكد هذه العظمة، فقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي أن الباب احتاج إلى سبعين رجلاً لرفعه بعد انتهاء المعركة، وذكر اليعقوبي أن علياً استخدم الباب كسلاح يدافع به، وأشار الطبري إلى أن الحادثة كانت علامة فارقة في فتح خيبر، فيما أجمع رواة الشيعة على أن هذا الفعل آية من آيات الله الجارية على يد وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وعند قراءة القرآن الكريم نجد أن هذه الحادثة تنسجم مع قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧]، فالقدرة التي ظهرت على يد الإمام علي عليه السلام لم تكن منفصلة عن إرادة الله، بل كانت مظهرًا للتسديد الإلهي، وكذلك قوله تعالى: ﴿إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد: ٧]، فالنصر هنا

أمتار وعرض مترين وسمك يتراوح بين (١٠-١٥) سم، من جذوع النخيل أو خشب صلب كالساج أو الأرز مع صفائح حديدية للتدعيم ومسامير ضخمة لتثبيت المفاصل، وإذا حسبنا الكتلة التقريبية لهذا الباب فإن وزنه لا يقل عن (٢٥٠) كغ وقد يصل إلى (٤٠٠) كغ وربما أكثر، وتحريك جسم بهذا الوزن أمر ممكن بصعوبة لعدد من الرجال، لكن اقتلعه من محور ارتكازه أمر أعقد بكثير؛ لأنه يتطلب التغلب على قوى العزم والمقاومة التي يوفرها تثبيت المفصلات العميقة في جدار الحصن.

إن الفيزياء الحديثة تتيح لنا أن نقيس الحدث بمقاييس العزم والقوة، فالطاقة المطلوبة لا تقتصر على وزن الباب بل على المقاومة الدورانية، وإذا كانت المفصلات موزعة على ارتفاع مترين ونصف فإن القوة المطلوبة لاقتلعه قد تعادل أضعاف وزنه الفعلي وربما تصل إلى قوة شد مقدارها (١٠٠٠-١٢٠٠) نيوتن على الأقل أي ما يعادل رفع وزن (١٢٠-١٠٠) كغ بيد واحدة بشكل مباشر، وهذه قوة خارقة بالنسبة لمقياس الإنسان الاعتيادي، ولا تيسر إلا بتركيبة استثنائية في بنية العضلات والعظام، فضلاً عن استثارة قصوى للطاقة الكامنة في الجسد.

قوة ربانية:

عُرف الإمام علي عليه السلام عبر سيرته بالقوة الجسدية النادرة، فقد قتل أبطال العرب في معارك بدر وأحد والأحزاب، وكان مضرب المثل في الشجاعة، لكنه بنفسه صرّح بأن قلع باب خيبر لم يكن بالقوة الجسدية وحدها، بل بقوة إلهية، إذ قال: ((ما قلعت

ارتبط بالإيمان واليقين، وهو ما تحقق في شخصية الإمام علي عليه السلام.

ثالثها: أن الإمام علياً عليه السلام جمع بين القوة العضلية الخارقة والقوة المستمدة من الإيمان والتسديد الإلهي.

وبالمقارنة مع العلم الحديث نجد أن أقوى رياضي العالم في رفع الأثقال يصلون إلى أوزان تتجاوز (٢٥٠) كغ في الرفعة الواحدة، لكن ضمن ظروف مثالية من تجهيز وتركيز وهذوء، في حين أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن في وضع مثالي، بل في ميدان معركة، مصاب قبل قليل برمد في العين، وممسك بسيف يقاتل به، ومع ذلك اقتلع باباً مثبّثاً بجدار حصين، ثم حوّله إلى ترس مقاتل، وهذا الجمع بين الأداء الجسدي الخارق والظرف القتالي يؤكد أن الأمر ليس قوة جسدية فحسب بل قوة ربانية مسددة.

رابعها: أن الحادثة أثبتت للأمة أنّ الإمام علياً عليه السلام هو الرجل الذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وأن ولايته مقرونة بعناية الله، ومن ثم فإن قلع باب خيبر لا يمكن أن يفهم كمجرد بطولة عسكرية، بل هو آية كبرى جمعت بين العلم والإيمان وبين الجسد والروح وبين الأرض والسماء لتبقى شاهداً خالداً على مكانة أمير المؤمنين عليه السلام.

بين الحق والباطل:

إن حادثة قلع باب خيبر لم تكن مجرد استعراض للقوة، بل كانت رسالة إلى الأمة، فالذي يغلق الحصن، ويفصل بين الحق والباطل اقتلعه علي عليه السلام، ليكون رمزاً لانتصار الإيمان على الحصون المادية، واتخاذ الباب ترساً يبين أن ما كان حاجزاً ضد المسلمين صار أداة بيدهم، وهو معنى رمزي عميق في تحويل أدوات الباطل إلى وسائل لنصرة الحق.

إن دراسة حادثة قلع باب خيبر من زاوية علمية وتاريخية وقرآنية تقود إلى نتائج مهمة:

أولها: أن الباب كان ضخماً جداً ووزنه ومقاومته تتجاوز حدود الطاقة البشرية الاعتيادية.

ثانيها: أن الفعل يتطلب قوة شد ودفع عالية جداً، لا تتوافر إلا في أشخاص مسددين من الله تعالى.

١- مناقب أمير المؤمنين ١: ٥٣٧/١

٢- شرح نهج البلاغة: ١/ ٨٨.



تأثير شخصية الإمام علي في بناء الفرد والمجتمع

الباحث: عمار الطريحي
النجف الأشرف

حين يقف الإنسان إزاء شخصيةٍ بحجم شخصية أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، يجد نفسه إزاء بحرٍ لا يُدرك له ساحل، ونورٍ لا يخبو ضياؤه، ومجدٍ لا تُحصى فضائله، فهو الإنسان الذي جمع في ذاته عبقرية الفكر وصفاء الروح، وشجاعة الموقف وعدالة الكلمة، وزهد العارفين وعمق العالمين.

لقد عاش الإمام علي عليه السلام الإسلام بكل جوارحه، فكان قلبه معلقاً بالله، ولسانه ناطقاً بالحكمة، ويده سيفاً في وجه الظلم، وفعله ترجمةً حيةً للقرآن الكريم.

إن شخصية الإمام علي عليه السلام ليست تاريخاً يُروى فحسب، بل هي مشروعٌ إنساني متكامل لبناء الفرد والمجتمع على أسس الإيمان، والعقل، والعدالة، والرحمة. فمنه يستلهم الأحرار مبادئهم، والعلماء معارفهم، والمصلحون طريقهم في مواجهة التحديات.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ لَدُنْكَ

القُدوة التي لا تنطفئ:

بهذا الفهم العلوي للصبر والمبدأ، يتكوّن الفرد المؤمن الواعي، الذي لا تزغزه الشدائد، ولا تشتريه الدنيا، ولا تغيّره الظروف، فالصبر عند الإمام علي عليه السلام هو نضجٌ في الوعي، وثقةٌ بالله، وسلاحٌ في مواجهة الفساد.

سعة الصدر أساس القيادة:

قال الإمام علي عليه السلام: ((أَلَّةُ الرَّئَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ))^(٤)، فهذه الكلمات القليلة وضع القاعدة الذهبية في فن القيادة، فالقائد الحقيقي هو الذي يملك قلباً واسعاً، وعقلاً متزناً، ونفساً متساحة.

إن القيادة عند الإمام علي عليه السلام ليست سلطة، بل مسؤولية أمام الله والناس، وهي لا تُقاس بالهيبة الظاهرية، بل بقدرة القائد على ضبط انفعالاته، وسماع الآخرين، واتخاذ القرار بحكمة وعدل، ففي عهده لما لك الأشر، يكتب عليه السلام: ((واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، والल्प بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم))^(٥)، فهنا رؤية تُقدّم للإنسان المعاصر أنموذج الحاكم الذي يُوازن بين القوة والرحمة، وبين الحزم واللين، فيكون خادماً لشعبه لا سيّداً عليهم.

الرحمة والتواضع:

من أعظم صفات الإمام علي عليه السلام تواضعه وحنانه على الضعفاء، فقد كان يجلس عليه السلام مع الأيتام على التراب، ويطعمهم بيده، ويبكي لحالهم، رغم أنه خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، وكان يلبس

لم يعرف التاريخ بعد النبي الأكرم عليه السلام إنساناً أسمى قدراً، ولا أوسع علماً، ولا أصدق موقفاً من الإمام علي عليه السلام، كما قال فيه رسول الله عليه السلام: ((لو اجتمع الناس على حب علي لما خلق الله النار))^(٦)، كلمة تختصر مكانته في ميزان العدل الإلهي، فهو مظهر المحبة والوفاء، ومثال العدالة التي لا تعرف التحيز.

كان الإمام علي عليه السلام يرى في الحكم وسيلة لإقامة العدل، لا طريقاً للسلطة وفي العلم باباً للهداية، لا وسيلة للتفاخر وفي الزهد قوة لا ضعفاً، وحرية لا حرماناً، وهكذا جسّد عليه السلام الإسلام في أبهى صورهِ، فغدّت سيرته مدرسة مفتوحة للقلوب والعقول، فكانت حياته رسالة أخلاقية وإنسانية خالدة، تنير دروب البشرية إلى يومنا هذا.

الصبر والالتزام بالمبدأ:

لقد تعلمنا من الإمام علي عليه السلام أن الصبر ليس ضعفاً، بل هو قِمة القوة، وأن الثبات على المبدأ هو جوهر الإيمان، إذ قال عليه السلام: ((مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ لِلْبَلَاءِ))^(٧)، وهي وصية عميقة تدعو إلى الإيمان الواعي لا الانتماء السطحي.

لقد واجه الإمام علي عليه السلام أشدّ المحن، لكنه لم يتراجع عن خط الحقّ قيد أنملة، فقد عاش مظلوماً، لكنه لم يسمح للظلم أن يُطفئ عدله أو يغيّر مبادئه، إذ قال عليه السلام: ((اطلبوا الحوائج بعزّ الأنفس، فإن قضاءها على الله))^(٨)، فهنا دعوة إلى الإباء والكرامة، وإلى التوكل على الله دون خنوع أو تذلل.

لباس البسطاء، ويمشي بلا حرس ولا مظاهر، إذ يقول: ((أَبَيْتُ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرْنِي؟!))^(٦)، فهذه كلمة تهزّ ضمير كل مسؤول وكل إنسان يملك قدرة على العطاء.

لقد ترجم الإمام علي عليه السلام مفهوم الرحمة من مبدأ إلى ممارسة، كانت إنسانيته جزءًا من عبادته، وعدالته مزيجًا من الحزم والعطف، وهذه الروح الرحيمة المتواضعة هي ما جعلته يملك القلوب قبل العروش.

مدرسة الإنسانية والعدل:

إن مدرسة الإمام علي عليه السلام ليست فكرًا محدودًا بزمان أو مكان، بل هي مشروع إنساني عالمي، قال عليه السلام: ((ما جاع فقير إلا بما مُتّع به غني، والله سائلهم عن ذلك))^(٩)، فهذه الكلمات توجز فلسفة العدالة الاجتماعية، التي تُلزم الأغنياء بمسؤوليتهم تجاه الفقراء، وتُحمّل الحاكم مسؤولية كل مظلوم في دولته.

إنها رؤية إصلاحية تتجاوز التاريخ، تصلح أن تكون دستورًا لأية حكومة عادلة في العالم الحديث، فالإمام علي عليه السلام لم يكن حاكمًا بالمعنى السياسي، بل قائدًا أخلاقيًا، يرسم ملامح الدولة القائمة على الكرامة الإنسانية والعدل.

التقوى روح الثورة على الفساد:

إن التقوى عند الإمام علي عليه السلام ليست خوفًا سلبياً من العقاب، بل وعي وإصرار على الإصلاح. هي موقفٌ ثوريٌّ ضد الفساد، وانتصارٌ للعقل على الهوى.

لقد أراد عليه السلام من الإنسان أن يعبد الله حبًا وشكرًا لا رهبةً وطمعًا، فقال عليه السلام: ((إن قومًا عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وإن قومًا عبدوه رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإن قومًا عبدوه حبًا له فتلك عبادة الأحرار))^(١٠).

هذه الروح الحرة هي جوهر الثورة الأخلاقية في فكر الإمام علي عليه السلام، إذ تتحول التقوى إلى وعي اجتماعي وإصلاح دائم في السلوك والمؤسسات.

معرفة الله تحصين للنفس:

يرى الإمام علي عليه السلام أن معرفة الله هي السور الذي يحمي النفس من الانزلاق في شهوات الدنيا، فقد قال: ((ما عبدتك خوفًا من نارك ولا طمعًا في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك))^(٧)، وبهذا الفهم العميق للعبادة جعل الإمام علي عليه السلام العلاقة مع الله أساسًا للتحرر لا للتقييد، للسمو لا للخوف.

أليس أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي ساوى بين الناس جميعًا بقوله عليه السلام: ((الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))^(٨).

لقد عاش عليه السلام العدل حتى في أدق التفاصيل، حين رفض أن يمنح أخاه عقيلاً مالاً زائداً من بيت المال، وأحرق له جمرَةً ليدرك حرارة الظلم، ففي هذا الموقف تتجلى روح العدالة، التي لا تعرف مجاملة الأقارب أو الأقوياء، بل تزن الأمور بميزان الحق وحده.

التوازن بين القوة والرحمة:

جمع الإمام علي عليه السلام بين الصلابة في الموقف واللين في المعاملة، فكان رحيماً بالأيتام، شديداً في ساحة الجهاد، متواضعاً مع الفقراء، شامخاً أمام الطغاة، وقد لخص فلسفته في قوله: ((من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس))^(١).

فالتوازن بين القوة والرحمة هو سر الشخصية القيادية الناجحة، وسر بناء الفرد المتكامل، إذ لا يمكن للمجتمع أن ينهض إلا حين يجتمع في قاداته العدل مع الرحمة، والحزم مع الإيثار.

منهج لا ينطفئ:

إن شخصية الإمام علي عليه السلام ليست مجرد سيرة تُروى، بل هي منهج حياة يُهدي إلى الطريق القويم، فهو الإمام الذي جمع بين عبادة الأحرار وعدل الحاكم، وبين علم العارف وشجاعة المجاهد.

لقد أثبت التاريخ أن فكر الإمام علي عليه السلام لا يقتصر على المواعظ، بل يمتد إلى السلوك العملي في ميادين الحكم، والإدارة، والتربية، والاجتماع، وأنه صوت الضمير الإنساني الحي، وأنموذج الإنسان الكامل، الذي يُعلمنا كيف نعيش لله، وللناس، بكرامة وعدالة وحب لا ينتهي.

-
- (١) العلامة الحلي، الرسالة السعدية: ٢٣.
 (٢) المجلسي، بحار الأنوار: ٣٤ / ٣٣٦، ٣٦٢، ٣٣٤.
 (٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٢٠ / ٣١٧.
 (٤) المصدر نفسه: ١٨ / ٤٠٧.
 (٥) السيد محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة: ١ / ٥٤٠.
 (٦) المحدّث النوري، مستدرک الوسائل: ٨ / ٤٢٨.
 (٧) المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٨ / ٨٩.
 (٨) ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول: ١ / ١٢٧.
 (٩) الشريف الرضي، نهج البلاغة: ١ / ٥٣٣.
 (١٠) المجلسي، بحار الأنوار: ٦٩ / ٧٨.
 (١١) الشيخ الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٥ / ٢٩٨.

قُرَّةُ الأَعْيُنِ

م.م رسل زكي المظفر
جامعة الكوفة- كلية الآداب

■ دور المجتمع في دعم الأسرة
وتحقيق الترابط الاجتماعي

السيد رياض الفاضلي
الحوزة العلمية في النجف الأشرف

■ نِعْمَتَانِ تَمْشِيَانِ عَلَى
الأَرْضِ تَعْرِفُهُمَا؟



دور المجتمع في دعم الأسرة وتحقيق الترابط الاجتماعي

م.م رسل زكي المظفر
جامعة الكوفة- كلية الآداب

تُعد الأسرة حجر الأساس في بناء أي مجتمع، فهي النواة الأولى التي تنشئ الأفراد، وتغرس فيهم القيم والعادات والمبادئ والتقاليد في ظل التحديات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجه الأسرة، ويبرز دور المجتمع كعنصر أساس في دعم الأسر وتقويمها، وكلما كان المجتمع متزناً متماسكاً وواعياً لدوره اتجاه الأسر كلما أصبحت هناك قوة للأسرة وقدرة على أداء وظائفها بفاعلية تامة. إن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية التي تحقق الترابط الاجتماعي، وتعمل على القيام بوظائف متعددة، من أهمها التنشئة الاجتماعية والرعاية والتربية والتعليم.

طبيعة المجتمع:

إن المجتمع هو إطار اجتماعي، يضم مجموعة من الأفراد، يعيشون في بيئة مشتركة، تجمعهم عادات وقيم ومبادئ، ومؤسسات تنظم حياتهم، والمجتمع يشمل الأسر، ويؤثر فيها ويتأثر بها، وأن أهمية الأسرة داخل المجتمع تعمل على بناء المجتمع عن طريق تنشئة أجيال متعددة بثقافتها وتنوعها الاجتماعي، وكذلك بناء شخصية الفرد من خلال التربية والتعليم وغرس القيم الدينية والعادات الاجتماعية والأخلاقية المتعارف عليها، وتحقيق الاستقرار العائلي والنفسي للأفراد، ودعمهم اقتصادياً عبر المشاركة بسوق العمل، وعلى الإطلاق أن المجتمع والأسرة هما وجهان لعملة واحدة، لا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر، ودعم المجتمع للأسرة يعد أمراً ضرورياً وليس خياراً؛ لأن الأسرة هي التي تعمل على تنشئة المجتمع وبناء بيئة نظيفة، في حين أن المجتمع هو الذي يوفر الحماية البيئية لهذه الأسرة، وبحد ذاتها هي عملية حيوية متكاملة فإن بناء مجتمع قوي يتطلب دعماً أسرياً وتمكينها من أداء دورها بشكل متزن وسليم^(١).

وبذلك تؤدي الأسرة داخل المجتمع دوراً محورياً في تكوين الفرد، وتعد المكون الأساس داخل هذا المجتمع، على وفق التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، لذلك بات من الضروري على المجتمع دعم الأسرة ليس فقط من الجانب المادي بل من الناحية المعنوية والبنى الاجتماعية، التي تعزز الترابط الاجتماعي بين الأسر والمجتمعات الأخرى، لتعزيز الاستقرار الذاتي لتلك الأسر والشعور بالأمان والحفاظ على حقوقهم الكاملة مادياً ومعنوياً، هذا بدوره يعمل على تقليل الضغوط النفسية على الأسر، وكذلك غرس القيم والعادات الاجتماعية ونقلها من مجتمع إلى آخر، عن طريق هذه الأسر والمساعدات المتبادلة فيما بينها، وكذلك وقاية الأفراد ولاسيما فئة الشباب من الانحراف الاجتماعي، الذي

يسهم في التوعية والتوجيه الصحيح لفئة الشباب، وبناء مجتمع قوي محافظ على عاداته وتقاليده، ما يقلل المخاطر التي قد تصيب الأسر وأفرادها داخل المجتمع.

وهناك العديد من الأشكال التي تساعد على دعم المجتمع للأسر، منها الدعم المادي الذي يعمل عن طريق برامج الرعاية الاجتماعية، وتوفير مورد اقتصادي لتلك الأسر، وكذلك تفعيل ندوات الإرشاد النفسي وهناك دعم من نوع آخر وهو الدعم المعنوي المتمثل بالشبكات الاجتماعية، التي تعمل على دعم شريحة الشباب ودعم الأمهات داخل الأسرة الواحدة، وهنا يأتي دور منظمات المجتمع المدني التي يكون لها الدور الفاعل في توفير شعور الانتماء وصلة الترابط الاجتماعي المتبادل، ويوجد دعم آخر يمثل الحلقة الأساسية داخل المجتمع، وهي المشاركة الاجتماعية المتمثلة بالعمل الطوعي، الذي يدعم شريحة المراهقين وتنمية عقولهم، وحثهم على القيم الأصيلة لذلك المجتمع، والحفاظ عليهم من الانحراف عن طريق أنشطة توعوية، متمثلة بوسائل الإعلام والمواقع الالكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي؛ لإحياء الترابط بين الأسر وزيادة التواصل الاجتماعي فيما بينها^(٢).

أهمية الترابط الاجتماعي:

إن للترابط الاجتماعي الدور الأساس في بناء مجتمعات سليمة، ويعد الترابط الاجتماعي داخل الأسرة من أهم دعائم الاستقرار الاجتماعي للأفراد، فالأسرة ليست إطاراً بيولوجياً، يجمع الأفراد، بل هي كيان ثقافي يبنى على أساس المحبة والتكامل، ويعد الترابط الأسري أساساً في بناء المجتمع وتعزيز القيم الاجتماعية ونشر روح الانتماء له، إن أهمية الترابط الاجتماعي يحقق الشعور بالأمان ويعزز الصحة النفسية، ويقلل عامل التوتر والضغط، ويهتم بإنشاء أجيال ذات ثقافة عالية، ويقلل المشكلات الأسرية ومنها التفكك الأسري

الأسري، وعدم المتابعة الدورية وتوفير متطلبات المعيشة المترنة، تؤدي إلى ارتفاع نسب الانحراف بين أبناء الأسر، وضعف العلاقات الاجتماعية من مجتمع إلى آخر، وشعور الأفراد بالعزلة الاجتماعية، لذلك لا بد على كل مجتمع من تعزيز دور فعال في دعم هذه الشرائح وحماية الأسرة، عن طريق وضع قوانين خاصة لحمايتهم وتوفير متطلباتهم الأساسية وإنشاء ندوات داخل الجامعات والمؤسسات، ونقلها من مكان إلى آخر، عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي، وأيضاً القيام بأعمال تطوعية خاصة للفئات المحتاجة والمتعففة، وتفعيل برامج ثقافية والإرشادات التي تستهدف فئات ومراحل مختلفة بين الأسر، وبذلك العمل على تفعيل الروابط الاجتماعية عبر مشاركة الأفراد في الفعاليات والمهرجانات التطوعية والثقافية، واستخدام التكنولوجيا الحديثة، لنشر محتوى الترابط الأسري بين المجتمعات، وتفعيل السياسة الحكومية الداعمة، التي توفر التمويل المالي والمعنوي^(٥).

والصراعات الداخلية، ويرسخ القيم والعادات الاجتماعية والدينية ونقلها من مجتمع إلى آخر^(٣). وعلى الرغم من أن للمجتمع الدور الفاعل في دعم الأسرة، لكن هناك تحديات قد تواجه المجتمع في دعم هذه الشريحة، منها ضعف المورد الاقتصادي والبنى التحتية لمؤسسات المجتمع المدني، التي قد تخلق فجوة بين الأسر والمجتمع، وبذلك تؤدي إلى صراع وتشتت داخل المجتمع، كذلك هناك تأثير سلبي للتكنولوجيا ووسائل الاتصال الإلكتروني والمواقع الإلكترونية، التي قد تضعف بعض العلاقات بين المجتمع، وتقلل الترابط الاجتماعي، لأن في الوقت الحاضر أخذت وسائل التواصل الاجتماعي دورها الفعال في إيصال المعلومات والمشاهدات بشكل سريع ومؤثر، ويكون تأثيرها في بقية الأفراد والمجتمعات تأثيراً واضحاً وإيجابياً، لذلك تعد العامل الأساس في تطور المجتمع أو خلق بيئة غير متزنة، إن ضعف التنسيق بين الجهات الرسمية ومنظمات المجتمع المدني بدوره يعمل على تقليل فاعلية الترابط الاجتماعي.

إن الحوار الأسري المتبادل بالأحداث، والاستماع إلى الآراء المتعددة، وتوفير وقت كافٍ للسفر والترفيه للحياة الاجتماعية، وكذلك العمل على الدعم العاطفي تمثل وسائل أساسية في زيادة الترابط، وتشجيع أفراد الأسرة على نشر قيمهم ومبادئهم بين الأسر، ونقلها من مجتمع إلى مجتمع آخر، كذلك توفير بيئة سليمة خالية من المشكلات والصراعات الداخلية للأسرة داخل المجتمع^(٤).

وما تقدم يمكن القول: إنه لا يمكن لأي مجتمع أن يحقق الاستقرار الذاتي والتقدم إذا كانت أسره داخل المجتمع ضعيفة ومفككة، فالدعم الاجتماعي للأسر ليس أمراً جيداً فقط، بل واجب وضرورة اجتماعية لتحقيق بيئة آمنة تخلق مجتمعات قوية ومتربطة وقادرة على مواجهة التحديات، وأن غياب دعم المجتمع للأسرة يعمل على زيادة معدلات التفكك

١. سيف محمد عبيد الكعبي التأثير الاجتماعي للمجتمع الإلكتروني على العلاقات الأسرية: ١٢٢.
٢. أبو مغلي إيهان حمد يوسف التفاعل الأسري في عصر التكنولوجيا دراسة حول تأثير الهواتف الذكية على التواصل الأسري: ١٠١-١٢٠.
٣. أحمد عبداللطيف أحمد إسهامات الرابط المجتمعية في تعزيز القيم المرتبطة بتنظيم الأسرة بالمجتمع الريفي: ٥٠٠.
٤. مصطفى منصور، أمان الانترنت وعلاقته ببعض الاضطرابات النفسية لدى التلاميذ: ٧٦.
٥. موسى شاخي إسماعيل دور الخدمة الاجتماعية في تحقيق التماسك الأسري الاجتماعي: ١٧٢.



نِعْمَتَانِ تَمْشِيَانِ عَلَى الْأَرْضِ تَعْرِفُهُمَا؟

السيد رياض الفاضلي
الحوزة العلمية في التجف الأشرف

حتى أنّ النظر إليهما رحمةٌ فيه الثواب العظيم، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: ((قال رسول الله ﷺ: ما ولد بار نظر إلى أبيه برحمة إلا كان له بكل نظرة حجة مبرورة، فقالوا: يا رسول الله وإن نظر في كل يوم مائة نظرة؟ قال: نعم، الله أكبر وأطيب))^(١).

يا له من خير كثير ونعمة جليلة نعجز عن شكرها، والحجة المبرورة لها ثواب نعجز عن بيانه، فقد ورد أن أقل شيء يعود به الحاج هو كما روي عن رسول الله ﷺ: ((من أراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت))^(٢).

من هذا الحديث الشريف وأمثاله يتضح أنّ الدنيا والآخرة لمن حجّ بيت الله سبحانه، وهذا الخير الكثير نجده في نظرة رحيمة واحدة للوالدين.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((برّ الوالدين من أكرم الطباع))^(٣).

الإنسان السوي بطبيعته يأنس بالحياة التي يسودها الإحسان، ومن أعظم الإحسان هو البرّ بالوالدين، فلا يدرك قيمتهما إلا من فتح الله بصيرته للفهم، فهما مصدر الرحمة والبركة في حياة الإنسان، وسبب لرضا الله تعالى ومغفرته. ومن غفل عن برّهما فقد خسر خير الدنيا ونعيم الآخرة. جاء في لسان العرب: البرُّ: الصّدق والطاعة، وفي الأحاديث الآتية سيبيّن معناها في النصوص.

شيء من أثر الجلوس مع الوالدين لحظات لا يعرف قيمتها إلا من رزقه الله تعالى الفهم، فهي ليست ساعات عابرة ولا وقتاً يُقضى بلا معنى، بل هي مورد عظيم من موارد الرحمة والمغفرة وقضاء الحوائج.

خطورة دعائهما:

الإحسان إليهما نفهم البر بالنبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، فمقامهما أعظم من ذلك كله، إذ إتيهما الوالدان كما ورد في أمالي الطوسي عن أبي الصلت بإسناده عن أنس عن النبي ﷺ قال: ((حَقَّ علي على الأمة كحَقِّ الوالد على الولد))^(٩) وهذا ما مرَّ شيء من بيان عظمتهم في السطور آنفة الذكر.

وليس في روايات الخاصة هذا المعنى فقط، بل عند العامة كذلك كما في كتاب الخصائص عن أنس: ((حَقَّ علي بن أبي طالب على المسلمين كحَقِّ الوالد على الولد))^(١٠) وكذلك ما نقل في بحار الأنوار [عن] النبي ﷺ: ((أنا وعلي أبوا هذه الأمة ولحقنا عليهم أعظم من حق أبوي ولادتهم، فإننا ننقذهم إن أطاعونا من النار إلى دار القرار، ولنلحقهم من العبودية بخيار الأحرار، قال القاضي أبو بكر أحمد بن كامل: يعني أنَّ حَقَّ علي [علي] كلَّ مسلم أن لا يعصيه أبداً))^(١١).

فهنيئاً لمن جمع بين برِّ الوالدين الطبيعيين، وبرِّ الوالدين الروحانيين (النبي وأمير المؤمنين)، فقد ضمن بركات الدنيا ونجاة الآخرة، وهذه هي المسؤولية العظمى التي لا ينبغي أن نضيّعها.

إنَّ الوالدين نعمة ما داما على قيد الحياة، وبرَّهما كنز لا يفنى أثره حتى بعد وفاتهما، بالدعاء لهما والصدقة عنهما وإهداء ثواب الأعمال. وبرَّهما سبيل سعادة العبد في دنياه ونجاته في أخراه.

غير أنَّ البرَّ الأعظم من ذلك هو في طاعة النبي وأمير المؤمنين عليه السلام، فهما أبوا هذه الأمة وسبيل خلاصها، فطوبى لمن جمع بين البرين، فذاك هو السعيد حقاً والفائز في الدارين.

وأما دعاوتها إذا فرط الولد بالإحسان إليهما ووقع الأذى منه عليهما فقد هلك؛ لما ورد أنَّ دعاءهما أحد من السيف، ففي حديث للنبي ﷺ أنه قال: ((ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده))^(١٢).

وفي رواية أخرى: ((إياكم ودعوة الوالد فإنها أحد من السيف))^(١٣)، فيجب الانتباه لهذا الأمر وإيلاؤه الاهتمام البالغ؛ لخطورته التي أوضحها الرواية الشريفة.

من ثمار البرِّ في الدنيا والآخرة:

إنَّ رضاها سرَّ السعادة في الدنيا وسبيل النجاة في الآخرة، فطوبى لمن اغتنم صحبتها، وحافظ على خدمتها، وأدرك أنَّها بابان إلى الجنة، وللبرَّ بها ثمرات منها، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((برِّوا آباءكم يبرِّكم أبناءكم))^(١٤)، وهذا أثر مهم، وله وقع خاص في حياة الإنسان، ومن غفل عنه فقد غفل عن السعادة في حياته.

ويكون بل يستمرَّ البرُّ بعد المات، فالوالدان نعمة في الحياة وباب رحمة لا يُغلق بعد المات، فبرَّهما لا ينقطع بغياهما، بالدعاء لهما، والصدقة عنهما، وإهداء ثواب الأعمال، يبقى الأجر متصلاً والنور متجدداً.

من عرف قدر والديه حيَّين أو ميتَّين فقد نال بركة الدنيا ورضوان الآخرة، والاحسان والبرَّ بهما فيه الخير الكثير كما روي عن النبي ﷺ في وصيته لرجل: ((ووالديك فأطعهما وبرَّهما حين كانا أو ميتَّين، وإنَّ أمراك أن تخرج من أهلِكَ ومالك فافعل، فإنَّ ذلك من الإيمان))^(١٥).

ولا رخصة في ترك البرِّ، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام: ((ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البرِّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرِّ والفاجر، وبرِّ الوالدين برين كانا أو فاجرين))^(١٦) فكيف إذا كانا من الموالين الباكين على سيد الشهداء عليه السلام، ومن ذريته؟

فالوالدان سبيل رضا الله ونجاة العبد في الدنيا والآخرة، فلنغتني حياتهما بالدعاء والبرِّ، وبعد رحيلهما بالصدقة والإحسان، ليبقى الأجر متصلاً والنور متجدداً.

البرَّ بالنبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام:

إذا كان برِّ الوالدين الطبيعيين بهذه المنزلة، فمن فهم

١- المجلسي، بحار الأنوار: ٧٧ / ٢١٢.

٢- المصدر نفسه: ٧١ / ٧٣.

٣- السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة: ١٠ / ٧٠.

٤- علي النمازي، مستدرک سفينة البحار: ٣ / ٢٩٣.

٥- محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٢ / ٨٨٣.

٦- المجلسي، بحار الأنوار: ٦٨ / ٢٧٠.

٧- الكليني، الكافي: ٢ / ١٥٨.

٨- المجلسي، بحار الأنوار: ٧١ / ٥٦.

٩- المصدر نفسه: ٣٦ / ١١.

١٠- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٣٠٠.

١١- المجلسي، بحار الأنوار: ٣٦ / ١٢.

دور الزوجة في الوصول إلى الله

في صبيحة زواج النورين، جاء رسول الله ﷺ إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام، فسأل رسول الله أمير المؤمنين، كيف وجدت زوجك؟ فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام: وجدتها خير معين لي إلى الله.

وروي أنه قال: ((اللهم إنما أحب خلقك إلي، فأحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً، وإنّي أعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم)).

وروي أنه دعا لها، فقال: ((أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً)).

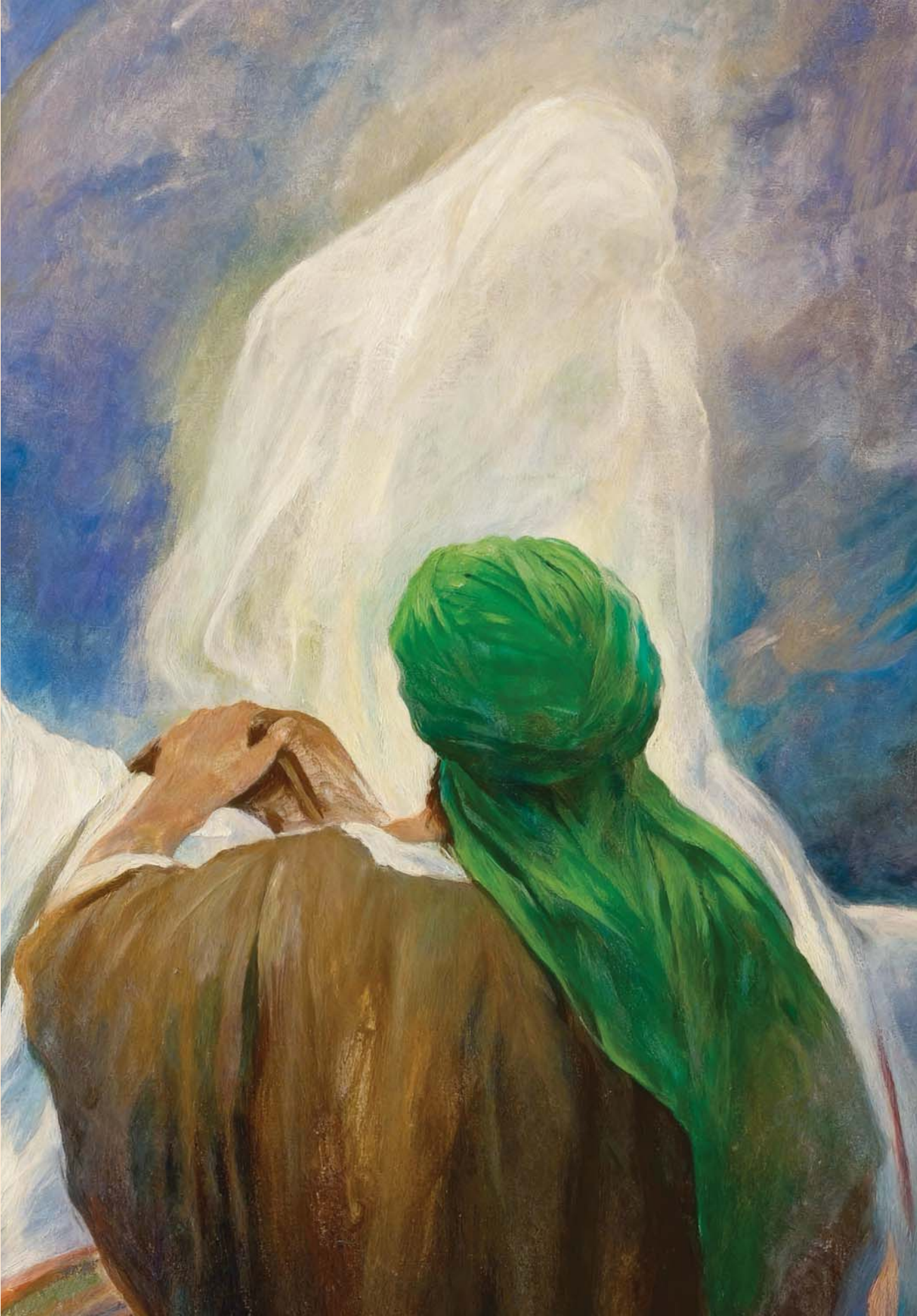
وروي أنه قال: مرحباً بحرّين يلتقيان، ونجمين يقتربان^(١).

ثم خرج إلى الباب يقول: طهركما وطهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما، وباتت عندها أسماء بنت عميس أسبوعاً بوصية خديجة إليها، فدعا لها النبي ﷺ في دنياها وآخرتها.

ثم أتاهما في صبيحتها وقال: السلام عليكم أدخل رحمكم الله؟ ففتحت أسماء الباب وكانا نائمين تحت كساء، فقال: على حالكما، فأدخل رجله بين أرجلها فأخبر الله عن أورداهما ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ [السجدة: ١٦].

فسأل علياً: كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله، وسأل فاطمة، فقالت: خير بعل، فقال: اللهم اجمع شملهما، وآلف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك.

لو أنّ الناس منذ زواج النورين إلى يومنا هذا عاشوا ولو بجزء بسيط من أخلاق علي وفاطمة عليهما السلام، لما وجدنا ما نجده اليوم من غرق بعض المجتمعات الإسلامية في غياهب ظلمات الجهل والطلاق والتراجع الأخلاقي والابتعاد عن الله.



ببليوغرافيا العلوم

■ القلم

رحلة الإنسان من النقش البدائي
إلى الأداة المتطورة

العتبة العلوية المقدسة
شعبة الخزانة العلوية

القلم .. رحلة الإنسان من النقش البدائي إلى الأداة المتطورة

العتبة العلوية المقدسة

شعبة الخزانة العلوية

منذ فجر التاريخ، ومع بزوغ الوعي الإنساني
بالحاجة إلى حفظ المعرفة ونقل الأفكار، بدأت رحلة
طويلة لأدوات الكتابة، رحلة تجسّد مسيرة الإنسان
ذاته في سعيه نحو التعبير والتدوين. ومن بين هذه
الأدوات، تفرّد القلم بمكانة رمزية وعملية جعلت
منه رفيق الفكر وصوت الحضارة، إذ واكب تحولات
الإنسان من النقش على الصخر إلى الكتابة على
الورق، ومن الحروف المسماوية إلى الطباعة الحديثة.



كان هذا التطور المبكر نواة لفكرة القلم، كما نعرفها اليوم، إذ سمح للكاتب بالتحكم في تدفق الحبر ودقة الخطوط، فالتسعت إمكانات التعبير الفني والمعرفي معاً.

في هذا البحث نستعرض المراحل التاريخية لتطور القلم، منذ بداياته الأولى في العصور السحيقة، حتى تحوله إلى الأداة المتقنة التي بين أيدينا اليوم.

منذ أن شعر الإنسان برغبة دفينية في تخليد أفكاره وحفظ تجاربه، بدأ يبحث عن وسيلة تتيح له أن يسطر ما يدور في ذهنه على ما يحيط به. ومع هذه الحاجة الملحة وُلد القلم، أداة الإنسان الأولى في طريق المعرفة، ورفيقه في رحلته الطويلة من الحجر إلى الورق، ومن الرموز الغامضة إلى الخطوط الواضحة، ومن النقش على الطين إلى الكتابة الرقمية في عصرنا الحديث.

القلم ليس مجرد أداة بل هو رمز الحضارة الإنسانية، ومرآة الفكر، وصوت العقل الجمعي الذي نقل لنا العلوم والفنون والتاريخ. وبوساطته، عبر الإنسان من زمن الشفاهية إلى عصر التدوين، ومن الفوضى إلى النظام، ومن الذاكرة العابرة إلى السجل الخالد.

البدايات الأولى: من النقش إلى القلم المبري:

بدأت رحلة الكتابة منذ العصور الحجرية، حين استخدم الإنسان أدوات حادة من الصوان أو العظام لنقش الرموز والصور على جدران الكهوف والصخور^(١)، ومع مرور الوقت، ظهرت مواد أكثر ملاءمة، منها الفحم والطباشير لتدوين العلامات الأولى على الأخشاب والعظام.

غير أن التحول الأهم تمثل في استخدام القلم المبري، الذي يعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد على الأقل^(٢)، إذ ظهرت في مصر القديمة أقلام تُشحن أطرافها لتُمسك بالحبر، وتكتب على أوراق البردي. كانت هذه الأقلام تُعد بعناية من نباتات القصب أو السمار، وتُهيأ بقطع مائل أو مستوٍ لتناسب طبيعة ورق البردي المسامي الذي يمتص الحبر برفق^(٣)، لقد

القلم في الموروث الديني والفكري:

يحظى القلم بمكانة سامية في الفكر الديني، ولا سيما في التراث الإسلامي، إذ يُروى أن النبي إدريس عليه السلام كان أول من كتب بالقلم^(٤).

أما القرآن الكريم فقد رفع من شأن القلم، فجاء القسم الإلهي به في قوله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]

كما ورد في أول ما نزل من الوحي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٣-٤].

ويرى المفسرون أن هذا الذكر الإلهي يرمز إلى قداسة المعرفة وخلود أثرها عبر الكتابة، ويؤكد أن القلم أداة من أدوات الخلق الفكري الإلهي في الكون،



إذ به تكتب المقادير وتُسجل السنن الكونية.

أقلام مصر القديمة: فن الكتابة على البردي

في مصر القديمة، كانت الكتابة أداة حضارية بامتياز، توثق التاريخ وتحلّد الملوك وتؤسس للفكر الإداري والفني. استخدم المصريون نبات السَّمَر لصناعة أقلامهم^(٧)، وهي نباتات تنمو في دلتا النيل، وتتميز بالمرونة والصلابة. كان القلم المصري يُهيأ بطريقة خاصة: يُقَصّ طرفه بشكل مائل ثم تُشَقّ نهايته لتصبح أشبه بفرشاة دقيقة تمتص الحبر وتوزعه بانتظام^(٨)، هذه التقنية منحت الكتبة قدرة على رسم الرموز الهيروغليفية المعقدة بخطوط متقنة ومتنوعة السماكة، مما جعل الكتابة المصرية القديمة تجمع بين العلم والجمال، بين الدقة الهندسية والتعبير الفني.

الفرشاة الصينية: من أداة كتابة إلى رمز ثقافي

أما في الصين، فقد بلغت الكتابة ذروة الفن والجمال عبر فرشاة الكتابة، التي مثلت جوهر فن الخط الصيني، وهي أداة تجمع بين الرسم والكتابة في تعبيرٍ موحدٍ عن الفكر والروح، وتشير الحفريات الأثرية إلى أن استخدام هذه الأداة قد بدأ منذ القرن

بلاد الرافدين: القصب والطين وبدايات الكتابة المسماة:

من بلاد الرافدين، حيث ولدت أولى الحضارات البشرية، بدأت أقدم مراحل التدوين المنظم في التاريخ. فقد استخدم السومريون أقلام القصب المبري للنقش على ألواح من الطين الرطب، في كتابة كانت أقرب إلى التصوير الرمزي قبل أن تتحول إلى الخط المسماة الشهير^(٩).

حدث التحول التقني الأكبر نحو عام ٢٦٠٠ ق.م، عندما بدأ الكتبة بقطع طرف القلم بزاوية حادة، مما منح العلامات شكلاً إسفينياً مميزاً، وأضفى سرعة وسهولة على عملية الكتابة. هكذا وُلدت الكتابة المسماة التي شكّلت أول نظام لغوي مكتوب في التاريخ، وجعلت من القلم والطين شاهدين خالدين على بدايات الفكر الإنساني المنظم^(١٠).



عشر، سادت أقلام الريشة بوصفها الوسيلة الرئيسة للكتابة في أوروبا. كانت تُصنع عادةً من ريش الإوز أو البجع، وتُبرى بعناية لتكوين سنٍّ دقيقٍ يُغرس في الحبر، ويتيح خطأً انسيابياً رقيقاً، وقد مثلت هذه الأقلام أداة النساخ والعلماء والفنانين طوال عصور النهضة والقرون الوسطى^(١١).

قلم البوصة: رفيق الخط العربي وفنونه

مع بزوغ الحضارة الإسلامية، ازدهر قلم البوصة (قلم القصب)، ليغدو أداة الفن والجمال في الخط العربي.

كان هذا القلم رمزاً لحرفية الخطاطين الذين أبدعوا في تصميم الحروف وتوازنها، بدءاً من ابن مقلة الذي وضع قواعد النسب الجمالية للحرف^(١٢)، إلى ابن البواب وياقوت الرومي الذين صقلوا فنونه حتى بلغت الكمال.

الحادي عشر قبل الميلاد، مما يجعلها من أقدم أدوات الكتابة التي ما تزال حاضرة حتى اليوم^(٩).

من القصب إلى المعدن: أقلام الإغريق والرومان

تأثرت الحضارتان الإغريقية والرومانية بالثقافة المصرية في أدوات الكتابة، فتبنتا استخدام قلم القصب وورق البردي، الذي كان يُستورد من مصر. غير أن الإغريق والرومان أضافوا ابتكاراتهم الخاصة، فطوروا قلمًا معدنيًا أو عظميًا (stylus) يُستخدم للنقش على الألواح الشمعية، وهي وسيلة عملية قابلة للمحو وإعادة الاستخدام، مثلت تطوراً تقنياً في أدوات الكتابة القديمة^(١٠).

قلم الريشة: الأداة المهيمنة في أوروبا الوسيطة

من القرن السادس الميلادي حتى القرن التاسع

بتوزيع حبر لزج كثيف بانتظام في أثناء الكتابة^(١٧).

خاتمة

من النقش على الحجر إلى الكتابة بالحبر الجاف، قطع القلم رحلة تمتد لآلاف السنين، رافق فيها الإنسان في تطوره الفكري والحضاري. إنه أكثر من مجرد أداة، إنه رمز الذاكرة الإنسانية، ووسيلة الخلود التي حفظت التراث، ونقلت العلوم، ودوّنت التاريخ. ومهما تطورت التكنولوجيا الرقمية، سيبقى القلم بكل أشكاله رمزاً خالداً للمعرفة، وصوتاً للإنسان في سعيه الدائم نحو الفهم والتعبير.

يُصنع القلم من قصبة تُقَطَّبُ بزاوية محددة، ويُشَقُّ رأسها لتحكم في تدفق الحبر^(١٣). وبفضل خصائصه الفيزيائية من المرونة وخفة الوزن إلى امتصاص الحبر أصبح أداة لا تُضاهى في فنون الخط العربي، ورغم تطور الأقلام الحديثة، ما زال قلم البوصة يحتفظ بمكانته بين أيدي الخطاطين المعاصرين، رمزاً للأصالة والإتقان والجمال الروحي.

عصر الحداثة: من قلم الرصاص إلى الحبر الجاف

شهد القرنان الثامن عشر والتاسع عشر قفزات كبيرة في تطوير الأقلام الحديثة:

- قلم الرصاص: ظهر هذا القلم في فرنسا عام ١٧٩٥م على يد الكيميائي نيكولا جاك كونتي، الذي ابتكر طريقة لصناعته بمزج الجرافيت بالطين وتغليفه داخل غلاف خشبي، ما شكل ثورة تقنية في أدوات الكتابة وأرسى الأساس لصناعة الأقلام الحديثة^(١٤).

- قلم الكوبيا (Copier Pencil): في منتصف القرن التاسع عشر ظهر قلم الكوبيا (Copier Pencil)، وهو نوع من أقلام الرصاص، احتوى على خليط من الجرافيت وصبغات أنيلينية قابلة للذوبان في الماء، ما أتاح نسخ النصوص يدوياً عبر ترطيب الورق ونقل الأثر إلى ورقة أخرى. وقد شكّل هذا القلم ثورة في مكاتب الكتابة والمراسلات قبل ظهور آلات النسخ والطباعة الحديثة^(١٥).

- قلم الحبر السائل: في عام ١٨٨٤م سجّل لويس إدسون ووترمان براءة اختراع نظام التغذية الشعرية للحبر، الذي يعتمد على مبدأ الجاذبية الشعرية لضبط انسياب الحبر من الخزان إلى سنّ القلم^(١٦).

- قلم الحبر الجاف: في عام ١٩٣٨م ابتكر الصحفي المجري لازلو بيرو قلم الحبر الجاف، مستعيناً بكرة معدنية دقيقة في مقدمة القلم تقوم

١. كلوت جان، فن الكهوف: ٢٢-٢٥.
٢. بلوم جوناثان، تاريخ الورق وأثره في العالم الإسلامي: ٢٧.
٣. د. هوستن ستيفن، اختراع الخط: ٤١.
٤. ابن كثير، البداية والنهاية: ١/٩٢.
٥. ووكر كريستوفر، الخط المسماوي: ١٠-١٥.
٦. المصدر نفسه: ١٢-١٦.
٧. ديرينجر، ديفيد، الأبجدية: مفتاح تاريخ الإنسان: ٣٤-٣٦.
٨. ديفيز وفريدمان، الكتابة الهيروغليفية وتطور الكتابة المصرية القديمة: ٤٤-٤٦.
٩. تسيين، تسوين هسوين، الكتابة على الخيزران والحزير بدايات الكتب والنقوش الصينية: ٢٤-٢٧.
١٠. تيرنر، إيريك، البرديات الإغريقية: ١٢-١٤.
١١. بيتروسكي هنري، القلم الرصاص: تاريخ التصميم والظروف: ٢٥-٢٧.
١٢. شاكر، يوسف، فن الخط العربي وتطوره عبر العصور: ١١٢-١١٥.
١٣. المصدر نفسه: ٨٨-٩٠.
١٤. بيتروسكي، هنري، القلم الرصاص: تاريخ التصميم والظروف: ٦٢-٦٥.
١٥. المصدر نفسه: ١٧٦-١٧٩.
١٦. لويس إدسون ووترمان، براءة اختراع رقم ٢٩٣٥٤٥.
١٧. لازلو بيرو، براءة اختراع رقم ٢٣٩٠,٦٣٦.

أبرز الكتب والإصدارات التي وصلت إلى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة

تصل الى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة مئات العناوين شهرياً في مختلف المواضيع العلمية والإنسانية والتاريخية والدراسات والبحوث، إذ تحوي على عديد من المصادر والمراجع في اتجاهات عدة، لتكون منهلاً مهماً للقراء والباحثين، وفي هذا الباب نحاول إبراز عدد من الكتب المهمة التي وصلت هذا الشهر الى المكتبة..



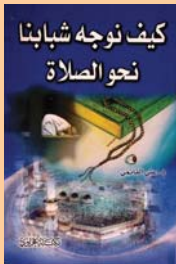
العنوان: الى الشباب والشابات :
كيف نفهم الاجتهاد والتقليد
المؤلف: حسين الصدر
الناشر: مطبعة البحرين
مكان وجود الكتاب: ٤٠٥٨٨



العنوان: الى الشباب والشابات :
كيف نفهم الزهد
المؤلف: حسين الصدر
الناشر: مطبعة البحرين
مكان وجود الكتاب: ٤٠٥٨٦



العنوان: زيارة القبور في الكتاب والسنة
المؤلف: حسين الصدر
الناشر: دار الكتب العلمية
مكان وجود الكتاب: ٤٠٥٨٥



العنوان: كيف نوجه شبابنا نحو الصلاة
المؤلف: علي القائمي
الناشر: مكتبة فخر اوين
مكان وجود الكتاب: ٤٠٥٩٣



العنوان: الى الشباب والشابات :
عقيدتنا
المؤلف: حسين الصدر
الناشر: [لانا]
مكان وجود الكتاب: ٤٠٥٩٢



العنوان: الغزو الثقافي في فكر الإمام الخميني
المؤلف: حسين علي الغراوي
الناشر: المركز الثقافي للدراسات الاسلامية
مكان وجود الكتاب: ٤٠٥٨٩



العنوان: رسالة في الصدقة : المهمات
و الأهداف
المؤلف: مجتبي السويح
الناشر: مؤسسة آل ياسين
مكان وجود الكتاب: ٤٠٥ ١٠١



العنوان: لنتخذ من شهر رمضان
موسم الإيمان و ربيع القرآن و مائدة
التقوى
المؤلف: محمدتقي المدرسي
الناشر: دار طريق الهدى
مكان وجود الكتاب: ٤٠٥ ١٠٠



العنوان: رؤى عن الإعلام والسياسة
والمسؤولية الاجتماعية
المؤلف: محمدتقي المدرسي
الناشر: مركز العصر للثقافة
مكان وجود الكتاب: ٤٠٥ ٩٩



العنوان: نظرية الانكسار الضوئي
المؤلف: محمد محمد طاهر ال شير
الخاقاني
الناشر: [لانا]
مكان وجود الكتاب: ١٢١ ٥ ٦٦



العنوان: الذرات والالكترونات
المؤلف: ماتفي برونشتين
الناشر: دار مير للطباعة والنشر
مكان وجود الكتاب: ١١٩ ٥ ٣ a



العنوان: الزوجية مشاكل وحلول مع
ملحق في المستحبات والمكروهات
وفوائد أخرى
المؤلف: قاسم محمد مصري العملي
الناشر: دار الغدير
مكان وجود الكتاب: ٤٠٥ ١٠٢



العنوان: الكون العجيب
المؤلف: صالح مهدي حبيب
الناشر: وزارة الثقافة والإعلام
مكان وجود الكتاب: ١٢١ ٤ ٤١



العنوان: بداية الأشهر القمرية للعام
الهجري ١٤٢١ هـ
المؤلف: مركز البحوث و الدراسات
الفلكية - مكتب السيد السيستاني (دام ظله)
الناشر: مركز البحوث و الدراسات الفلكية
- مكتب السيد السيستاني (دام ظله)
مكان وجود الكتاب: ١٢١ ٤ ٤٠



العنوان: الثورة الكوبرنيكية او النظام
الحديث للفيلسوف المعاصر برتراند
رسل
المؤلف: أحمد عبد الباقي
الناشر: مكتبة المثنى
مكان وجود الكتاب: ١٢١ ٥ ٦٨



العنوان: كيمياء الاغذية
المؤلف: باسل كامل الدلاي ، كامل حمودي الركاوي
الناشر: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر
مكان وجود الكتاب: ١١٨a ٣ ٤٢



العنوان: موسوعة الكويت العلمية للكيمياء
المؤلف: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - إدارة التأليف و الترجمة
الناشر: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - إدارة التأليف و الترجمة
مكان وجود الكتاب: ١١٨a ٣ ٤١



العنوان: دليل استخدامات الأسمدة الكيماوية و العضوية في العراق
المؤلف: جليل اسباهي العابدي
الناشر: الهيئة العامة للإرشاد والتعاون الزراعي - وزارة الزراعة
مكان وجود الكتاب: ١١٨a ٣ ٤٠



العنوان: أجهزة التلفزيون
الترانزستور: الدوائر - الأعطال - الصيانة
المؤلف: يزيد يوسف ثابت
الناشر: منشورات مكتبة التحرير
مكان وجود الكتاب: ١١٧a ٣ ٤٦



العنوان: معادلات الترانزستور خير معين للممارسين و الهواة ولورش الصيانة والاصلاح
المؤلف: أمين فهمي
الناشر: [لانا]
مكان وجود الكتاب: ١١٧a ٣ ٤٥



العنوان: معجم مصطلحات الهندسة الكهربائية الشامل - انكليزي - عربي
المؤلف: أسعد عبدالمجيد الاوسي
الناشر: منشورات و توزيع المكتبة العالمية
مكان وجود الكتاب: ١١٧a ٣ ٤٤



العنوان: الدروس العلمية في فسيولوجيا النبات
المؤلف: مصطفى طلبة ، يوسف الدوري
الناشر: مطبعة وزارة المعارف
مكان وجود الكتاب: ١١٤b ٤ ١٠



العنوان: نظرية التطور
المؤلف: عصام الدين حنفي ناصف
الناشر: مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
مكان وجود الكتاب: ١١٤b ٤ ٩



العنوان: مبادئ علم التريولوجي
المؤلف: جي هولنك
الناشر: جامعة الموصل - مديرية دار الكتب للطباعة و النشر
مكان وجود الكتاب: ١١٧a ٣ ٤٧



العنوان: الوحدة في وجه الواحد
بالمئة: تحطيم الاوهام وزرع الحرية
المؤلف: فاندانا شيفا
الناشر: دار العادي
مكان وجود الكتاب: ٨٠e ٦ ١٨



العنوان: طريق النور
المؤلف: دار انوار الهدى
الناشر: انوار الهدى
مكان وجود الكتاب: ١٢٥ ٤ ٤٩



العنوان: الخلية
المؤلف: محمود حياوي
الناشر: دار المعارف
مكان وجود الكتاب: ١١ ٤ b ١١٤



العنوان: المقالات الأدبية العربية في
البحريني
المؤلف: انيسة احمد خليل المنصور
الناشر: مكتبة الحاج جلال العالي
الخاصة
مكان وجود الكتاب: ٢٢b ١ ٢٢



العنوان: المقالة الأدبية العربية في
المدرستين المصرية والشامية
المؤلف: قيس كاظم الجنابي
الناشر: الدار المنهجية
مكان وجود الكتاب: ٢٢b ١ ١٨



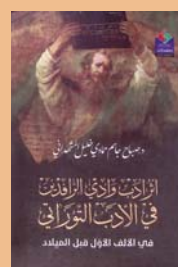
العنوان: نظام الحكم بين نظريتي
الساحتين السيد السيستاني والشيخ
النائيني المطبقة نسبيا في ثورة
العشرين : نقاط الالتقاء والافتراق
المؤلف: عبدالهادي الحكيم
الناشر: دار المحجة البيضاء
مكان وجود الكتاب: ٨٠e ٦ ١٦



العنوان: تساؤلات : خواطر فلسفية
المؤلف: شاكر خصباك
الناشر: دار الحداثة
مكان وجود الكتاب: ٩٨ ٥ ١٦



العنوان: المجموع في شعر علماء هجر
المؤلف: محمود بن محمد المبارك
الناشر: شركة مدبولي
مكان وجود الكتاب: ٢٢b ١ ٢٤



العنوان: أثر أدب وادي الرافدين في
الادب التوراتي في الألف الأول قبل
الميلاد
المؤلف: صباح جاسم حمادي خليل
المشهداني وآخرون
الناشر: صفحات للدراسات و النشر
مكان وجود الكتاب: ٢٢b ١ ٢٣

شؤون دولية

الباحث هشام الرمحي
النجف الأشرف

■ البحر الأسود صراع الممرات
وموازين القوى الدولية

■ السينما بوصفها قوة ناعمة
في السياسات الدولية
بين الترفيه والدعاية



البحر الأسود صراع الممرات وموازن القوى الدولية

الباحث هشام الرماحي
النجف الأشرف

البحر الأسود أكبر مسطح مائي داخلي في العالم، يقع في منطقة أوراسيا، وهو بحر شبه مغلق، تحيط به سهول أوروبا الشرقية من الشمال، والبلقان من الغرب، بينما تحده جبال القوقاز شرقاً وشبه جزيرة الأناضول جنوباً، ويمثل مضيق البوسفور المنفذ الوحيد له على المحيطات المفتوحة جنوباً.

القوى الإقليمية الأوروبية والآسيوية في صراع النفوذ عليه.

أهمية استراتيجية واقتصادية

يعد البحر الأسود شرياناً حيوياً لنقل الطاقة والحبوب والسلع التجارية. فروسيا وأوكرانيا، وهما من أبرز المنتجين العالميين للقمح والنفط

يحتل البحر الأسود موقعاً استراتيجياً مهماً، إذ يقع على مفترق الطرق بين جنوب شرق أوروبا وغرب آسيا، وتطلّ عليه ست دول (أوكرانيا وروسيا وجورجيا وتركيا وبلغاريا ورومانيا)، ويمثّل منطقة عبور تجاري وعمر للطاقة، ومجال حيوي تتنافس فيه القوى الكبرى: مع انخراط

على مضيقَي البوسفور والدردنيل الرئيسين، وهما المنفذان الوحيدان من البحر الأسود إلى البحر الأبيض المتوسط. ومباشرة بعد غزو أوكرانيا، أغلقت تركيا هذه الممرات أمام جميع السفن الحربية، وليس فقط السفن الروسية، ما حافظ على توازن القوى البحرية^(٤).

الحرب وتداعياتها

لم تكن الحرب الدائرة بين روسيا وأوكرانيا منذ عام ٢٠٢٢ مجرد نزاع إقليمي يَخُص حدود دولتين متجاورتين، بل تحولت إلى أزمة عالمية أَلقت بظلالها الثقيلة على مختلف شعوب الأرض. فقد تدخلت الجغرافيا بالاقتصاد والسياسة بالأمن الغذائي، لتمثل هذه الحرب واحدة من أعقد الأزمات التي يشهدها العالم في العقود الأخيرة.

أول ما انعكس على الشعوب كان الأمن الغذائي، إذ تُعد روسيا وأوكرانيا من أبرز مصدري القمح والذرة وزيت دوار الشمس إلى العالم، ولا سيما إلى بلدان الشرق الأوسط وإفريقيا. ومع إغلاق الموانئ وتعطّل الصادرات في البحر الأسود، شهدت الأسواق العالمية نقصاً حاداً وارتفاعاً كبيراً في أسعار الخبز والحبوب. وهكذا وجدت مجتمعات بأكملها نفسها أمام تهديد المجاعة وازدياد نسب الفقر، ما جعل الغذاء ورقة ضغط جيوسياسية تُستخدم في إدارة الصراع.

إلى جانب ذلك، فجّرت الحرب أزمة طاقة عالمية غير مسبقة. فالقارة الأوروبية، التي طالما اعتمدت على الغاز الروسي، وجدت نفسها في مواجهة شتاء قاسٍ مع تراجع الإمدادات وارتفاع الأسعار. ولم يقتصر أثر الأزمة على الأوروبيين فحسب، بل امتد إلى بقية دول العالم إذ ارتفعت تكاليف الكهرباء والوقود والنقل. وهكذا أصبح المواطن البسيط في أي مكان يدفع ثمن الصراع من خلال فواتير يومية أثقلت كاهله.

والغاز، تعتمدانه بوابة للتصدير نحو الأسواق العالمية. كما أنه يوفر منفذاً لعدد من دول آسيا الوسطى الباحثة عن طرق بحرية إلى الأسواق الأوروبية. ومن ثم، فإن التوترات العسكرية أو السياسية تنعكس مباشرة على الأمن الغذائي العالمي وأسعار الطاقة.

فمع بداية الحرب الروسية على أوكرانيا في فبراير/شباط ٢٠٢٢، وحصار الموانئ التي تصدر منها الحبوب في أوديسا وخيرسون وماريوبول، وقصف المنشآت فيها، بدأ العالم أجمع يستشعر التبعات الاقتصادية لنقص إمدادات القمح العالمية وارتفاع تكلفة استيراده^(١) كون أوكرانيا وروسيا تؤمّنان أكثر من ربع صادرات القمح العالمية، وما يقرب من خمس تجارة الذرة والجزء الأكبر من زيت عباد الشمس، وأصبحت رومانيا وبلغاريا المجاورتان أيضاً جهات شحن بارزة للمحاصيل إلى حد كبير، فيما ساعدت التربة الخصبة والغنية أوكرانيا على أن تصبح ثاني أكبر مصدر للحبوب^(٢).

مصالح أمنية دولية

من الناحية الأمنية، يُعد البحر الأسود نقطة تماس بين حلف شمال الأطلسي (الناتو) من جهة، وروسيا من جهة أخرى. فمنذ ضم روسيا لشبه جزيرة القرم عام ٢٠١٤، تعزز الوجود العسكري الروسي في المنطقة بشكل كبير

في المقابل لحلف الناتو أيضاً مصالح أمنية قوية في منطقة البحر الأسود. فمنذ عام ١٩٩٧ وحتى غزو روسيا لأوكرانيا، أجرى التحالف العسكري، المؤلف من ٣١ عضواً، مناورات عسكرية رئيسية ومع ذلك، لا توجد في البحر الأسود بشكل دائم سوى ثلاث قوات بحرية تابعة للناتو - بلغاريا ورومانيا وتركيا. ويعود ذلك إلى اتفاقية مونترو لعام ١٩٣٦^(٣)، التي تضمن لتركيا السيادة الكاملة

الأسود سيعتصم بوتيرة أسرع خلال المرحلة المقبلة، ما يلقي بظلاله على أمن الطاقة العالمية والأمن الغذائي.

على الرغم من أن الاتحاد الأوروبي هو سوق مهم لموارد الطاقة عبر البحر الأسود، إلا أنه ليس لاعباً مهماً فيما يتعلق بالأمن. حتى الآن، لم يظهر الاتحاد الأوروبي الطموح ولم يخلق الظروف المؤسسية أو المادية للعب دور حقيقي في منطقة البحر الأسود وبحر قزوين الكبرى^(٥).

وعلى وفق ذلك من المرجح أن يبقى البحر الأسود مسرحاً لتقاطع المصالح الدولية، إذ يتداخل فيه البعد الاقتصادي مع العسكري، و(الطاقي) مع الغذائي. ومع استمرار الحرب في أوكرانيا، سيبقى البحر الأسود مرةً لصراع القوى الكبرى، وميزاناً حساساً يحدد استقرار المنطقة وربما العالم بأسره.

١. <https://www.aljazeera.net>

٢. <https://asharq.com/politics>

٣. كفلت المعاهدة حرية المرور للسفن التجارية عبر المضائق في أوقات السلم والحرب، كما تسمح أيضاً بمرور السفن الحربية التابعة لدول حوض البحر الأسود بدون أيّ تحديد. وقّعت المعاهدة مرور سُفنًا الحربية الأجنبية غير التابعة لأيّ من دول حوض البحر الأسود بشروط معينة، من أهمها: ألا يتجاوز عددها ٩ سفن عند العبور من المضائق، بشرط إشعار تركيا بالمرور قبل ١٥ يوماً، بالإضافة إلى ألا تتجاوز الحمولة الإجمالية للسفينة الواحدة ١٥ ألف طن، وألا تتجاوز مدة مكوث السفن في البحر ٢١ يوماً.

٤. لانتشان، توماس، دور البحر الأسود في حرب روسيا على أوكرانيا.

٥. سعيد، حازم، أهمية البحر الأسود في حرب أوكرانيا.

ولم يتوقف أثر الحرب عند ذلك، بل زاد الاستقطاب السياسي والإعلامي على المستوى الدولي. فقد انقسمت المجتمعات بين مؤيد للغرب ومناصر لروسيا، ما انعكس على الرأي العام وأحياناً على استقرار السياسات الداخلية. كما أعادت الحرب إلى الواجهة أجواء الحرب الباردة، ودفع العديد من الدول إلى زيادة إنفاقها العسكري على حساب القطاعات التنموية، وهو ما يعني أن الشعوب تدفع مجتهداً ثمن سباق التسلح من تراجع في الخدمات الاجتماعية الأساسية.

إن تداعيات الحرب الروسية - الأوكرانية تؤكد أن النزاعات الكبرى لم تعد محلية أو إقليمية، بل سرعان ما تتحول إلى أزمات كونية يتشارك في دفع ثمنها سكان المعمورة كافة. من رغبة الخبز في بغداد أو الخرطوم، إلى فاتورة الغاز في برلين أو باريس، ومن اللاجئ الباحث عن مأوى في وارسو إلى الأسرة التي تكافح الغلاء في بوينس آيرس، يظهر جلياً أن هذه الحرب أعادت صياغة حياة الشعوب اليومية، ووضعت العالم إزاء تحديات مترابطة، قد يستمر أثرها لعقود طويلة.

آفاق وقراءة مستقبلية

يمثل البحر الأسود رهاناً استراتيجياً ليس فقط لتصدير الحبوب، بل يؤكد استمرار اختبار القوة المفتوح بين موسكو وحلف شمال الأطلسي انطلاقاً من أوكرانيا. فضلاً عن أن استكمال موسكو السيطرة على الساحل الأوكراني لا سيما بعد السيطرة على بحر "أزوف" يجعل من أوكرانيا دولة من دون منافذ بحرية أساسية، ما يقلب موازين القوى في الصراع.

يضع البحر الأسود موسكو وحلف "الناتو" وجهاً لوجه، ما يزيد من خطر المواجهة المباشرة بينهما، بات متوقعاً أن التنافس الدولي في البحر

السينما بوصفها قوة ناعمة في السياسات الدولية بين الترفيه والدعاية



يحظى مصطلح القوة الناعمة بشعبية كبيرة داخل الأوساط الأكاديمية والجامعية والشعبية، منذ مدة غير قصيرة، في دلالة على وجود وعي متصاعد على المستويين النخبوي والقاعدي^(١)؛ لأهمية هذا المصطلح الذي يعبر عن المضمون الجديد لمفهوم القوة مع نهاية الحرب الباردة؛ نتيجة تحولات مست الأنبة الساسية والمعرفة، وتحول العالم إلى فضاء تواصلى مفتوح، حيث الصور والتمثلات الذهنية، الواقعة في قلب الرهانات المعاصرة للقوة الشاملة، والماضية بوتيرة متسارعة نحو طابع تعددي متكامل العناصر الناعمة والخشنة، بما يمكن توصيفه بـ(حرب غير معلنة)، التي بتواصلها تزداد استعارًا بين القوى الطامحة إلى مواقع طليعية في ساحة الأمم.

ولقد أدركت الدول العالمية أن التوجه نحو السينما هي واحدة من وسائل تحقيق الأهداف المرجوة من التسويق لسياستها الخارجية وحتى العسكرية، فقد عملت الحكومة الأميركية منذ عقود مع شركات الإنتاج السينمائي في هوليوود بهدف بناء صورة إيجابية لأميركا في الخارج، وقامت أيضاً بتمويل كثير من الأفلام، فلم يكن الهدف تحقيق الأرباح، ولكن استخدام هذه الأفلام جاء للتأثير على الرأي العام في الخارج، فضلاً عن تقديم صورة مشرقة للحرية والديمقراطية وقوة الجندي الأميركي في حروب المختلفة.

ولطالما كانت السينما وسيلة فاعلة في التعبير عن هوية الدول ورؤيتها للعالم، بل أصبحت أداة من أدوات القوة الناعمة التي تسهم في تشكيل

صورة الدولة أمام شعوبها وأمام المجتمع الدولي. وإذا كانت الولايات المتحدة قد هيمنت عالمياً عبر هوليوود، فإن دولاً أخرى مثل روسيا والصين وفرنسا والهند عملت هي أيضاً على توظيف السينما بما يخدم سياساتها الدولية.

في روسيا، لعبت السينما منذ الحقبة السوفيتية دورًا

قوة حضارية وإنسانية.

إن تجارب روسيا والصين وفرنسا والهند تكشف عن أن السينما ليست مجرد وسيلة للترفيه، بل أداة سياسية وثقافية بامتياز. فهي تعيد صياغة صورة الدولة، وتخطب العقول والوجدان في آن واحد، لتكون امتداداً موازياً للسياسة الخارجية ونافذة دائمة على هوية الأمم ومكانتها في العالم.

وفي الختام إن ما تصوره السينما اليوم من ثقافات وأيدولوجيات وصور مشرقة، ما هي إلا دعاية لأجندتها وترويج لدبلوماسيتها. فهي تصنع الصور النمطية، وتعيد إنتاج الروايات التاريخية، وتؤثر في الرأي العام العالمي بطرائق لا تقل أهمية عن الخطاب السياسي المباشر في الماكينة الإعلامية العالمية. ولعل التحدي الأبرز أمام العالم ولاسيما عند المتابعين وأصحاب الشغف بالأفلام السينمائية، ينبغي تحقيق التوازن بين البعد الفني والإبداعي للسينما واستغلالها بوصفها وسيلة للصراع والتأثير في السياسات الدولية من جهة والنخر في عقول الشباب وجرهم إلى محتويات النصوص الفنية وتطبيقها في مجتمعاتهم من جهة أخرى.

١- sollywood.com.sa

٢- هي منظمة تعنى بتعزيز التعاون السياسي والثقافي والاقتصادي بين الدول الناطقة باللغة الفرنسية حول العالم. تأسست في ٢٠ مارس/آذار ١٩٧٠، بـ"نيامي"، عاصمة جمهورية النيجر، وتضم ٩٣ دولة إلى حدود عام ٢٠٢٥، من بينها ٥٦ عضواً كامل العضوية و٥ أعضاء منتسبين، إضافة إلى ٣٢ عضواً مراقباً يتكونون من دول ومنظمات دولية وإقليمية.

سياسياً بارزاً. فقد ظهرت أفلام تُمجّد الثورة وتقدم صورة البطل الجماعي الذي يقاوم الظلم، في انسجام تام مع خطاب الدولة الاشتراكي. وخلال الحرب الباردة، تحولت السينما السوفيتية إلى أداة دعائية تبرز تفوق الجيش الأحمر وأخلاقه في مواجهة أعداء الخارج. أما في روسيا المعاصرة، فما زالت الأفلام الوطنية تُنتج؛ لتؤكد صورة الدولة كقوة عظمى ذات تاريخ عسكري وثقافة عريقة.

أما الصين فقد ركزت على إبراز حضارتها العريقة وصعودها الحديث في آن واحد. عبر أفلام الفنون القتالية ذات البعد الفلسفي، وأفلام الإنتاج الضخم التي تحيي التاريخ الإمبراطوري أو تستعرض التقدم التكنولوجي، سعت بكين إلى تقديم نفسها بوصفها قوة صاعدة تجمع بين الإرث الحضاري والنهضة الحديثة. وهكذا تحولت الشاشة إلى منصة دبلوماسية ناعمة، تخدم خطاب (الصعود السلمي) الذي تروج له الصين في سياستها الخارجية.

فرنسا بدورها لجأت إلى السينما لتعزيز مكانتها الثقافية. فقد مثلت حركة (الموجة الجديدة) في ستينيات القرن الماضي صورة فرنسا كبلد الحرية والتجريب الفني. وعن طريق دعم المهرجانات والتعاون في المجالات السينمائية الدولية، خاصة مع إفريقيا والشرق الأوسط، أكدت فرنسا حضورها الثقافي العالمي المرتبط بالفرنكوفونية^(٢) وبالردور الحضاري الذي تسعى للحفاظ عليه.

أما الهند فقد جعلت من بوليوود جسراً ثقافياً مع العالم. عن طريق الأفلام المبهجة والقصص الدرامية التي تجمع بين القيم الأسرية والحداثة، قدّمت الهند نفسها كأمة نابضة بالحياة، روحانية وعصرية في الوقت ذاته. هذه الصورة خدمت الهند في بناء قوة ناعمة تعزز مكانتها على الساحة الدولية، باعتبارها

ذاكرة الأمم

■ المرقد العلوي والمراسيم الدينية
بوصف الرحالة الأجانب

د فاطمة حمدان عبادي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المرقد العلوي والمراسيم الدينية بوصف الرحالة الأجانب

د فاطمة حمدان عبادي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

تعدّ مدينة النجف الأشرف واحدة من أهم المدن الدينية في العالم الإسلامي، نتيجة ما تحظى به من مكانة مرموقة خاصة في قلب كل مسلم بمختلف بقاع العالم، لاحتضانها مرقد الإمام علي عليه السلام، والقدسية التي تمتلكها بسبب هذا الأمر، وهذا ما جعل كثيراً من الزوار في مختلف بقاع الأرض ينجذبون لزيارتها سيما الرحالة الأجانب، الذين ينتمون لثقافات وحضارات مختلفة ومنوعة، من أجل أن يقوموا بتوثيق كل مشاهداتهم وانطباعاتهم عن هذه المدينة المقدسة وتدوينه، كما أن وصف الرحالة للمدينة وللمرقد الشريف يتجاوز كونه توثيقاً اعتيادياً تاريخياً أو جغرافياً، بل يعدّ انعكاساً لفهم ما كانت عليه المدينة في عيون كل من زارها من خارج العالم الإسلامي، ومدى تأثير المراسيم الدينية في المدينة على تصوراتهم الثقافية والدينية من جانب آخر .



Pedro Teixeira
(1605)

Pietro Della Valle
(1616)

Jean-Baptiste
Tavernier
(1676)

Jean Otter
(1734)

Carsten Niebuhr
(1765)

Guillaume
Antoine Olivier
(1794)

Adrien
Dupré
(1809)

William
Kennett
Loftus
(1849)

John Asher
(1864)

Wynholt
(1866)

Guillaume
Antoine
Olivier
(1794)

Adrien
Dupré
(1809)

William
Kennett Loftus
(1849)

Jean
Otter
(1734)

أن الرحالة كانت تستوقفهم المدن الكبيرة والمعالم المشهورة، لذا رغبة منهم في مشاهدتها عن قرب والاطلاع على عمارتها وتقاليدها وكنوزها فكانوا يتجهون لهذه البلاد التي يشاهدونها في اثناء مرورهم عليها.

يمكن القول: إنّ الرحالة الأجانب كانوا يقومون برحلاتهم رغبة في الحصول على المال والذهب والعطايا الملكية، التي يمكن ان تعود عليهم من وراء كشف جغرافي جديد، وهذا كان حال كريستوفر كولومبوس الإيطالي حينما كان يسعى للوصول إلى الهند طمعاً في كنوزها، بينما الرحالة المعاصرون سواء أكانوا عرباً أم غربيين فهم كُتّاب بالدرجة الأساس، ساقطهم الظروف الى بلاد معينة، فأخذوا يكتبون عنها أو يسافرون إلى أماكن بعينها لدراساتها والكتابة عنها، كما أن الرحالة كانت تستوقفهم المدن الكبيرة والمعالم المشهورة، لذا رغبة منهم في مشاهدتها عن قرب والاطلاع على عمارتها وتقاليدها وكنوزها فكانوا يتجهون لهذه البلاد التي يشاهدونها في اثناء مرورهم عليها^(٧).

وقد زار العديد من الرحالة الأماكن المقدسة في العراق ومن أبرزها كربلاء والنجف وكتبوا

أولاً: مفهوم الرحالة في اللغة والاصطلاح
معنى الرحالة في اللغة كما جاء في كتاب لسان العرب: الرحيل والارتحال بمعنى السفر والسير والانتقال من مكان لآخر^(١) ويقال رَحَلَ - رُحِيلاً وَتُرْحَالاً : سار ومضى أي بمعنى: مكث هنا بعض الوقت ثم رَحَلَ، رَحَّالَة : كثير التُّرحال والرحلة اسم للارتحال^(٢) والرحالة أيضاً: بمعنى كثير الرِّحْلَة^(٣).

أما مفهوم الرحلة لغوياً فهي من ير حل رحلاً ورحيلاً وَتُرْحَالاً ذهب ورحَّله من بلده أخرجه منها وارتحل القوم انتقلوا والراحلة الناقة الصالحة والرحل أيضاً ما يستصعبه المسافر من الأوعية جمعه رحال^(٤) والترحل اسم صفة للارتحال أي المسير^(٥).

أما المعنى الاصطلاحي فيشير مصطلح الرحالة إلى فرد يرتحل من منطقته إلى أخرى، ثم يعود الى وطنه بسجلات لمغامراته وبملاحظات ودراسات وانطباعات، وقد تكون هذه السجلات في صورة يوميات ودراسات جغرافية وخرائط أو ملاحظات انثروبولوجية أو ملاحظات ثقافية أو شخصية او انطباعات بصرية، وأي شكل من أشكال التعبير الفني كالرسم او التصوير الفوتوغرافي^(٦).

ثانياً : أهداف الرحالة الأجانب دراسة دوافعهم وغاياتهم من الترحال.

المتتملة بحب المغامرة وإشباع الفضول المعرفي واكتساب خبرات بالممالك والطبائع، وحب التنقل وتغيير الأجواء، كل هذه الأهداف وغيرها من الأهداف الأخرى التي نشدها الرحالة الأجانب في رحلاتهم^(١١).

ثالثاً: أبرز الرحالة الذين زاروا النجف الأشرف وتاريخ زيارتهم^(١٢).

زار العديد من الرحالة مدينة النجف الأشرف عبر التاريخ، من أبرزهم: بيدرو تكسيرا (البرتغالي) عام ١٦٠٥، بيترو ديلا فالي (الإيطالي) عام ١٦١٦، جان باتيست تافيرنيه (الفرنسي) عام ١٦٧٦، جان أوتير (الفرنسي) عام ١٧٣٤، كارستن نيبور (الألماني) عام ١٧٦٥، غيوم أنطوان أوليفيه (الفرنسي) عام ١٧٩٤، أدريان دوبريه (الفرنسي) عام ١٨٠٩، ويليام كانت لوفتس (البريطاني) عام ١٨٤٩، جون آشر (البريطاني) عام ١٨٦٤، واينتهولت (الهولندي) عام ١٨٦٦، ومدام ديولافوا (الفرنسية) عام ١٨٨١.

عن توابعها وضواحيها لتعطي رحلاتهم صورة واضحة عن الأوقاف، التي زاروها ومن بينها التدوين الذي لم يهتم به أهل المدن أنفسهم، فكان الأجانب يحملون منهجية في عملهم لغايات مخططة مسبقاً ينفذون الى أعماق الواقع، ليرسموا بعد ذلك خطط التدخل فيما بعد^(٨).

وكان من بين الأهداف والغايات التي توخاها الرحالة في رحلاتهم هي الأهداف العلمية، فقد عني مجموعة من الرحالة بالبحث عن مخلفات الماضي من الآثار والمعالم الحضارية^(٩)، وهذا السبب الذي دفع بعض الرحالة للوفود إلى العراق تحديداً إلى مدينة النجف الأشرف من المهتمين بالنواحي العلمية والاستكشافية، سيما وأن التراث الحضاري لأية أمة من الأمم في هذا العالم يعد الأساس الذي تبنى عليه مكانتها وتحدد به هويتها ومسيرتها، ويتم معرفة مدى عراققتها وأصالتها في التاريخ ونوعية إسهامات رجالها في حركتها^(١٠)، أضف إلى الأهداف الدينية المتتملة بالتنصيرية عن طريق نشر الدين المسيحي، فضلاً عن الهدف الاقتصادي الذي يعد من أهم الأهداف لهذه الرحلات، كونها تحقق إنجازات مهمة للسياسة الاقتصادية الغربية، وكذلك الأهداف السياحية والثقافية

جذبت النقوش والزخارف في المرقد أنظار الرحالة الهولندي اينهولت عندما زار المدينة، فقد أثاره الإعجاب بالمرقد، مشيراً بقوله حسبنا الإعجاب بالمدخل الجميل والقباب البديعة، وهي كرؤوس المنائر المكسوة بالذهب الخالص.

بالطوب العريية مبنية في وسط الفناء، وكان هناك رواق حول المنطقة يغطي الظلال للمشي المؤدي لذلك الجزء من المبنى، ليكون هناك بابان جميلان مؤديان إلى داخل المسجد واصفا القبة بأنها قبة جميلة جداً، كما يتزين المسجد بكثير من الكرات الصاجية والزجاجية ويض النعام وعدد كبير من المصابيح المذهلة، وهناك شمعدانات ضخمة جداً بالقرب من المحراب وهناك السجادات الصغيرة التي تغطي الأرضية^(١٤).

جذبت النقوش والزخارف في المرقد أنظار الرحالة الهولندي اينهولت عندما زار المدينة، فقد أثاره الإعجاب بالمرقد، مشيراً بقوله حسبنا الإعجاب بالمدخل الجميل والقباب البديعة، وهي كرؤوس المنائر المكسوة بالذهب الخالص بفضل سخاء الفرس وسائر

رابعاً: المرقد العلوي كما وصفه الرحالة الأجانب:

أجمع الرحالة الأجانب على أنّ مرقد الإمام علي عليه السلام هو أهم المعالم الدينية في مدينة النجف، بل أهم المعالم التاريخية والحضارية، بل أنه أحد المعالم البارزة في العراق بالنسبة إلى الرحالة نيبور، فقد تطرق في رحلته إلى النجف إلى قبة الضريح الشريف، مشيراً إلى وجود كف مفتوح في نهاية تلك القبة، وقد ذكر أن الفناء الداخلي تم افتراشه من قبل عدد غير قليل من الباعة، وكان أمامه شمعدان ضخمة للغاية، فضلاً عن احتوائه على غرف خاصة بكبار خدام المرقد وسدنته، واصفاً أيضاً الحضرة المقدسة من الداخل، ذاكرةً أنّ فيها من الأشياء الثمينة ما يدعو للعجب، فالقبر نفسه تحوطه قبة شبك مذهبة، نقش عليها آيات قرآنية بحروف كبيرة ومذهبة أيضاً، وتحتوي على عدد كبير من الشمعدانات المصنوعة من الفضة^(١٣).

كما زار الرحالة البريطاني يوليوس غريفث المدينة، وتمكن من الدخول إلى المرقد الشريف مستغلاً الأجواء الحارة في الصيف، وذكر دخوله بالتفصيل قائلاً: بالاقتراب من بوابة المسجد دفعني الفضول القوي وغير المعذور للدخول بسرعة إلى الفناء الأول، فكان هناك نافورة أنيقة ومزينة بالبلاط الملون وتفوح

دخولي المرقد إذ الأبواب الكبيرة والسلسلة التي قبلتها عندما دخلت الصحن المحاط بالأروقة والجدران المزينة بالقاشاني والمرايا المنزلة بالفضة، ووجدت مئذنتين كانتا مكسوتين بالذهب، علو الواحدة إلى القمة، ووجدت الضريح من الداخل تعلوه القبة الكبرى المذهبة بذهب يأخذ الأبصار فكانت الزينة الفاخرة والقاشاني والفضة والمرايا التي كانت تدل كلها على الفخامة^(١٨).

كان للرحالة البريطاني لوفتس نصيب أيضاً في رؤية المشهد العلوي حينما دخل الصحن الشريف برفقة عدد من الجنود العثمانيين، فأخذ يصف شكل الصحن الشريف والضريح المطهر الموجود في وسطه، مشيراً إلى زينة القاشاني المحتوية على الرسوم المتناسقة للطيور والأوراق النباتية والكتابات المذهبة، ذكراً أيضاً أن ثلاثة أركان من أركان الصحن تقوم فوقها مآذن ثلاث، كسيت الاثنتان الأماميتان منها بالآجر المغلف بالذهب، الذي يكلف تذهيب الواحدة منه مبلغ تومان واحد أو ما يعادل باونين استرليني، فضلاً عن القبة التي كانت تمثل منظرًا فخماً يعجز عنه الوصف، وكانت القبة الكبرى المكسوة بالذهب، وهي تتوهج في نور الشمس تبدو للرائي من بعيد وكأنها تل من ذهب، كما كانت توجد بين يدي الضريح المطهر بركة

الشيعة العلويين المهيمنين في هذه البقعة، كما ذكر بأنه رأى غلاف الضريح البديع المصنوع من النحاس المذهب على النار، وهو من عمل نادر شاه نفسه، وكان الضريح مكتظاً بجموع الزائرين القادمين للإحتفال بالعيد الذي يعقب رمضان، إذ المشهد المقدس الذي يجب قلوب الناظرين^(١٥)، موضحاً أيضاً أن النجف تسمى مشهد علي فإنها تتشرف بوجود الضريح فيها، وقد مثلت محط أنظار الزائرين منذ زمن بعيد^(١٦).

وهو عين ما أشارت إليه الرحالة آن بلنت البريطانية عام ١٨٧٧ عندما قالت: كان المسير مملاً بسبب تعب الجمل، إلا أن ذلك لم يمنعنا من الاستمتاع بالمظهر الجميل لقبة مشهد علي المذهبة، التي تلمع كنجم على مياه بحر النجف الأزرق، ويعد ضريح الإمام علي مقدساً عند الشيعة على نحو الكعبة في مكة^(١٧).

فضلاً عن ذلك فقد زار المدينة عالم الآثار الأميركي جون بيترز عام ١٨٩٨ وعند دخوله للمدينة قال (وفي الصباح وعند شروق الشمس شاهدت من على سطح الخان القبة الذهبية الجميلة والمنارات لمسجد الإمام علي، وهو أقدس منطقة عند المسلمين في العالم بعد مكة، وبعد دخوله إلى المرقد مرتدياً الزي العثماني؛ حتى يسمح له بالدخول ذكر: أن

وصف الرحالة الفرنسي دوبريه المرقد أن المرقد تعلوه قباب ومآذن مغطاة بالنحاس المغشى بالذهب، وهو يقع في سهل قاحل، لم تتفضل عليه الطبيعة بأي شيء، إلا أن تقوى المؤمنين وسخاءهم عوضه عن موقع البلدة الصحراوي

شيء، إلا أن تقوى المؤمنين وسخاءهم عوضه عن موقع البلدة الصحراوي^(٢٢).

خامساً: المراسيم الدينية في وصف نماذج من الرحالة الأجانب:

حظيت مسألة المراسيم الدينية في النجف الأشرف بعناية الرحالة، الذين قاموا بزيارتها ومشاهداتهم للمرقد العلوي ووصفهم له، لذا فقد وصف الرحالة لياندر المراسيم الدينية بقوله: وفي طريق العودة الى بغداد رأينا أكثر من ألفي زائر فارسي، كانوا يسرون في جماعات تعد مئة زائر من الجنسين وفي وسط كل جماعة كان يوجد رجل دين يقرأ سيرة الائمة علي والحسن والحسين وأولادهم عليه السلام، وعندما كان يتوقف من وقت لآخر كان يصدر عن ذلك الجمع صرخات وبكاء، وكانوا جميعهم يلطمون على وجوههم بالكفين، كما ذكر الرحالة بأنه من العادات الدينية التي

من النحاس تزيد في جمالها أشعة الشمس المتراقصة فوق سطحها الصقيل اللامع، الذي يكاد يحاكي سطح القبة نفسه في بهائه وتألؤه^(١٩)، وتجدر الإشارة إلى أنه كان ضمن أعضاء لجنة الحدود التي تحولت في منطقة الحدود العراقية الايرانية عام ١٨٤٩، فعمل على تثبيت رحلته هذه في حين كانت زيارته التي وصف فيها المرقد الشريف هي الزيارة الثانية للعراق، وكان قد خصصها لأغراض علمية وأثرية بالدرجة الأساس^(٢٠).

كما وصف بارون كارادي فو، وهو مستشرق فرنسي، الضريح بأنه قد بني في مركز فناء مستطيل جدرانته مزخرفة ومحلاة بالذهب وببلاط مزين، وأمام الباب نافورة من البرونز الصقيل ذات رونق، وترتفع قبة مذهبة أعلى الضريح بين أربع منارات في الزوايا الأربع مذهبة هي الأخرى، وأن المنظر الإجمالي عندما ينظر إليه من بعيد يبدو كصرح مذهب أخاذ^(٢١).

فضلاً عن ذلك فقد وصف الرحالة الفرنسي دوبريه المرقد أن المرقد تعلوه قباب ومآذن مغطاة بالنحاس المغشى بالذهب، وهو يقع في سهل قاحل، لم تتفضل عليه الطبيعة بأي

كبيراً من الرحالة الأجانب، الذين زاروا النجف الأشرف ووصفوا أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية إلا أن اسماءهم لم تذكر في هذه الصفحات، نظراً لاتساع حجم المعلومات وكثرة الأسماء الخاصة بالرحالة، كما تجدر الإشارة إلى أن العديد من هؤلاء الرحالة الذين تم ذكرهم في هذه الأسطر لم يتمكنوا من دخول المرقد العلوي أو وصفه من الداخل، وذلك بسبب الإشاعات التي كانت سائدة آنذاك، التي أفادت بعدم السماح لغير المسلمين وخاصة المسيحيين بدخول المرقد، لذلك اقتضت رؤيتهم على مشاهدة المرقد من الخارج، أضف إلى ذلك التشدد الذي فرضته السلطات العثمانية والصراعات بينها وبين الفرس، إذ قد أدى إلى تجنب العديد من الرحالة الأجانب دخول المرقد، واكتفوا بوصف المدينة بشكل عام، وملاحظة أحوالها من الخارج.

وفي الختام يعد المرقد العلوي في النجف الاشرف أحد أبرز المعالم الدينية والتاريخية التي جذبت انتباه الرحالة الأجانب على مر العصور، واصفين الأجواء الروحانية الفريدة فيه، وهندسته ومعماريته الفاخرة وأهميته للمسلمين من بقاع الأرض كافة، بالإضافة

رأيتها حول الزيارة، عند عدم مقدرة شخص ما على الزيارة والوصول إلى المرقد، يقوم بدفع نقود إلى شخص متمكن ليزور نيابة عنه ، فضلاً عن ذلك فقد تطرق بعض الرحالة إلى مدى قدسية واحترام الناس وشغفهم وجههم إلى ائمتهم، فكانوا يذكرونهم بالقيام والقعود وفي الدعاء، وهذا ما أشار إليه كل من الرحالة الألماني نيبور والرحالة البريطانية ان بلنت بقولها «هو طبيعي في مدن الحج، فإن كل الطبقات تفتخر بتقواها، ولكن استمتعنا بالاستماع إلى الذكر الذي كان الحداد يردده عندما استدعينا ليحدو خيولنا، فكان يقول: يا علي مع كل ضربة مطرقة، مشيرين أيضاً إلى أن الزوار وبعد الانتهاء من زيارتهم يقومون بحركة تدل على احترامهم لصاحب هذا المكان ؛ إذ عند خروجهم يسرون إلى الورا، لعظم إجلالهم لصاحب هذا المكان^(٢٣).

فضلاً عن ذلك فقد أشار بعض الرحالة إلى قضية نقل جثامين الموتى ودفنهم في مدينة النجف الأشرف وغيرها من الأماكن المقدسة، ومنها كربلاء المقدسة كالرحالة الأميركي جون بيترز، الذي أخذ يقارن بين الطقوس القديمة لنقل الموتى وبين الطقوس الجديدة لدفن الموتى^(٢٤).

ونود أن نلفت الانتباه الى أن هناك عدداً

- (٤) أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون: ٧.
- (٥) ابن منظور، المصدر السابق: ١٦١١.
- (٦) علي عفيفي علي غازي، بدو العراق والجزيرة العربية بعيون الرحالة، تقديم: محبوب الزويري: ١٦.
- (٧) رسول كاظم عبد السادة، المرقد العلوي في نظر الرحالة والمستشرقين: ٢.
- (٨) عبد الصاحب ناصر آل نصر الله، كربلاء في أدب الرحلات: ١٠.
- (٩) لبنى محمد عباس محسن، النجف في كتابات الرحالة الأوروبيين من القرن السابع عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي: ١٥.
- (١٠) صابرينا ميرفان وأخرون، النجف تاريخ وتطور المدينة المقدسة: ٢٦١.
- (١١) لبنى محمد عباس محسن، المصدر السابق: ١٦.
- (١٢) المصدر نفسه: ١٧٣.
- (١٣) علي هادي عباس المهداوي، الكوفة والنجف كما وصفهما الرحالة الأجانب في العصر الحديث (دراسة تاريخية): ٣٢-٣٣.
- (١٤) لبنى محمد عباس محسن، المصدر السابق: ٩٦-٩٧.
- (١٥) محمد جبار موسى، منطقة الفرات الأوسط في كتب الرحالة الأجانب ١٨٣١-١٩١٤: ١٠٩.
- (١٦) المصدر السابق: ٣٥.
- (١٧) سهير عباس كاظم عباس الزبيدي، الأحوال الاجتماعية في منطقة الفرات الأوسط من خلال كتب الرحالة الأجانب ١٨٣١-١٧٩٩: ١٩١٤.
- (١٨) صلاح السعيد، النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة: ١٤٩.
- (١٩) جعفر الخليلي موسوعة العتبات المقدسة، النجف الأشرف، القسم الأول: ج: ٢٣٥-٢٣٦.
- (٢٠) رسول كاظم عبد السادة، الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين: ٤٦.
- (٢١) رسول كاظم عبد السادة، المرقد العلوي في نظر الرحالة: ٤٤.
- (٢٢) دوبريه، رحلة دوبريه إلى العراق (١٨٠٧-١٨٠٩)، ترجمة: بطرس حداد: ١٦٩.
- (٢٣) لبنى محمد عباس محسن، المصدر السابق: ١١٣-١١٤.
- (٢٤) صلاح السعيد، المصدر السابق: ١٥٠.

إلى المراسم الدينية التي تتم فيه على الرغم من أن كثيراً منهم لم يتمكنوا من دخول المرقد بسبب القيود السياسية، التي كانت سائدة حينذاك إلا أنهم بمشاهدتهم للمدينة ووصفهم أحوالها قد قدموا صورة حية عنها، وقد أبرزت كتاباتهم مدى أهمية المرقد، ليس فقط بوصفه مركزاً دينياً، بل أيضاً بوصفه مركزاً ثقافياً وتاريخياً كبيراً.

-
- (١) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله عبد علي الكبير وأخرون: ١٦٠٨.
 - (٢) أنطوان نعمة وأخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة: ٥٣٩.
 - (٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: ٣٣٥.

شهادة الحوراء زينب

وقد تعرضت زينب العقيلة عليها السلام إلى مصائب ومحن وشدائد تشيب لهولها رؤوس الصبيان، فقد شهدت هذه الصديقة شهادة الأحبة والأولياء واحداً بعد واحد... منذ شهادة أمها الزهراء عليها السلام مروراً بشهادة أبيها وأخيها الحسنة، وانتهاءً بشهادة أخيها الحسين عليه السلام، الذي ألمها فراقه كثيراً، مع ما صاحب ذلك من سبي وانتهاك حرمة، لكنها عليها السلام رغم ذلك، قابلت تلك المحن بصبر تلين دونه الجبال، وشجاعة مستقاة من أبيها عليها السلام، وحلم وحكمة نهلتها من أمهات، فكانت تقف أمام طاغية عصرها، تخاطبه بكلام لو سمعه السامع لم يصدق أنه كلام امرأة فُجعت بمفارقة الأحباء، وسبيت بين الفقار على جمال بغير وطاء، حتى أسكتت بلاغتها كل صوت في مجالس الكوفة والشام، فبلغت حجة أخيها الحسين عليه السلام، وأشاعت مصيبتها بين أقطار الأرض، وتركت الناس بين بالكٍ وآسفٍ ومتمرد وخائف، حتى أرغم الطاغية بإعادة ركب السببا إلى أوطانهم آمنين على أنه لم يهدأ لعقيلة الطالبين عليها السلام بعد رحيل أخيها الحسين عليه السلام عين، ولم تغب ذكره عن قلبها المقدس، حتى آن وقت رحيلها إلى الشام، فما أن وصلت هناك حتى تذكرت تلك الأيام العصيبة، وعادت إليها لواعج الأسى والحزن، فأصيبت بالحمى وتوفيت بالقرب من دمشق ودفنت في المحل الذي يُعرف الآن بمنطقة الزينية .

في يوم الخامس عشر من رجب سنة ٦٢ للهجرة كانت وفاة السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام (١).

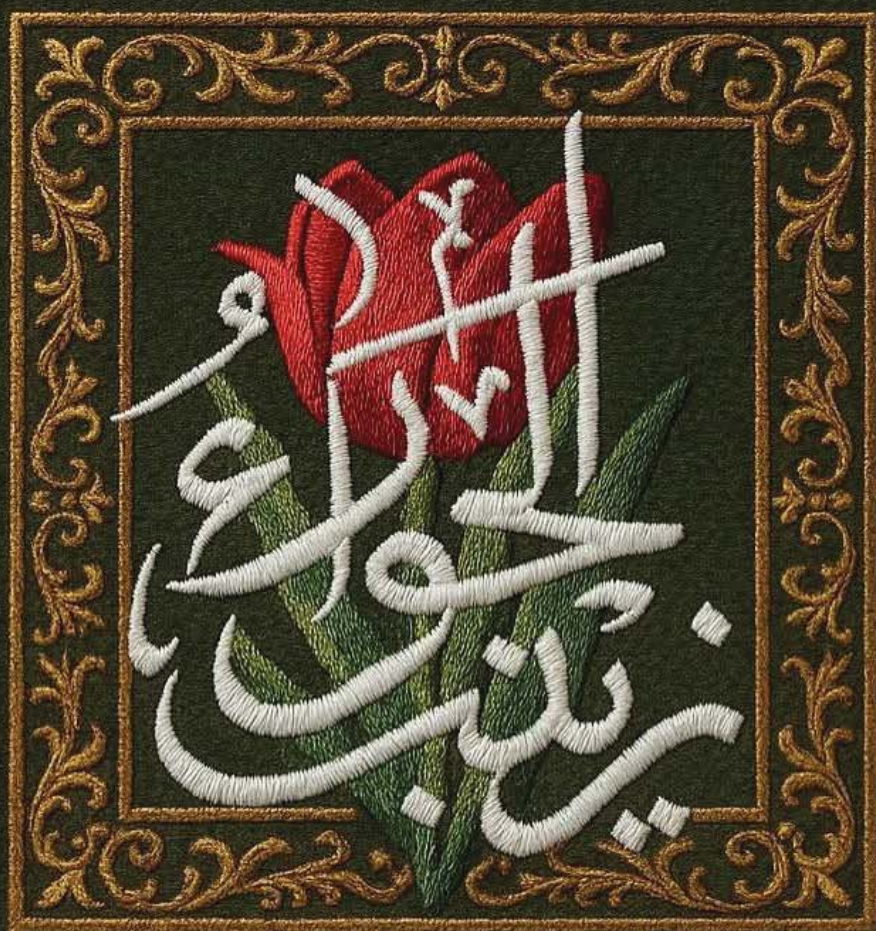
يُستفاد من آثار أهل البيت عليهم السلام جلاله شأن زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام ووقارها، بما لا مزيد عليه، حتى أوصى إليها أخوها ما أوصى قبل شهادته، وأنها من كمال معرفتها ووفور علمها وحسن أعراقها وطيب أخلاقها كانت تُشبه أمها سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام في جميع ذلك، وأبأها عليها السلام في قوة القلب والشدة والثبات عند النائبات والصبر على الملمات، والشجاعة الموروثة من صفاتها، والمهابة الماثورة من سماتها، قال الصدوق: كانت زينب عليها السلام لها نيابة خاصة من الحسين عليه السلام، وكان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام حتى برئ زين العابدين عليه السلام من مرضه (٢).

وقد كانت ولادتها سلام الله عليها في الخامس من جمادى الأولى في السنة الخامسة أو السادسة للهجرة، وقيل في أوائل شعبان في السنة السادسة للهجرة، وقيل غير ذلك، وقد نشأت وترعرعت في كنف بيت طاهر لا يذكر فيه إلا الله تعالى، ولا يؤتى فيه إلا الصالحات من الأعمال، بيت أداره علي بن أبي طالب عليه السلام بعلمه وحكمته، وملأت أنحاء فاطمة الزهراء عليها السلام بعطفها وحنانها، ورافقها فيه سيدا شباب أهل الجنة عليه السلام، وحقّ للذي يتربى في مثل هذا البيت أن يكون في أعلى مدارج الكمال الانساني

لذلك جاءت تلك الصديقة الجليلة على درجات عالية من الشرف والكرامة، وورد في حقها كثير من المناقب والفضائل، حتى لقبت بالصديقة الصغرى، وعقيلة بني هاشم، والموثقة، والعارفة، والكاملة، وعابدة آل علي، وصاحبة الشورى.

(١) معالي السنين، الشيخ محمد مهدي الحائري: ٢/ ٢٢٥.

(٢) وفيات الأئمة، مراجع من العلماء الأعلام: ٤٤٠.



السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا عَقِيلَ بْنَ أَبِي هَاشِمٍ

حوار العدد

■ حوار مع:

سماحة السيد مجيد نبوي

مؤسس مركز القائية للأبحاث الالكترونية في أصفهان

حاوره : هاشم الباجي



في حوارهِ مع مجلة الولاية: سماحة السيد مجيد نبوي مؤسس مركز القائمة للأبحاث الالكترونية في أصفهان: إن هدف المؤسسة هو نشر العلم والمعرفة مجاناً، ولاسيما علوم أهل البيت عليه السلام

حاوَره : هاشم الباجي

تكمُن أهمية المكتبات الرقمية في توفير الوصول الفوري والمجاني للمعلومات من أي مكان، مما يسهل عملية التعليم والبحث العلمي، ويفتح آفاقاً جديدة للتعليم غير الرسمي. فضلاً عن أنها تساعد في الحفاظ على المواد المطبوعة، وتوفر المساحة والتكلفة، وتتيح لمستخدمين متعددين الوصول إلى المعلومات في وقت واحد، وتعزز الكفاءة العلمية والقدرة على مواكبة أحدث الأبحاث، ولأهمية هذه المكتبات التي أصبحت متاحة للجميع بضغطه واحدة من جهاز الكمبيوتر أو حتى الهاتف الشخصي، لتستطيع البحث في عشرات المكتبات، ومن هنا كان لقاءنا بالسيد مجيد نبوي مؤسس مركز القائمة أو (سوق الكتب) على المنصات الالكترونية المختلفة، وجرى اللقاء في المركز بمدينة أصفهان خلال زيارة وفد كادر مجلة الولاية للتواصل الثقافي والفكري مع المؤسسات والجامعات الأكاديمية والحوزوية.

والفارسية والانجليزية والاذرية والصينية والاندونيسية والاوردية والفرنسية.

ما خصائص البرامج التي تعتمدونها في تسهيل البحث للباحثين؟

الخصائص كثيرة ومتنوعة، فيمكن ان تكون قابلية التشغيل لهذه الكتب وتحميلها عن طريق أجهزة الكمبيوتر والهواتف النقالة والتابليت.

ويمكن للبرنامج أن يكون ذا استخدامات متعددة، فهو يحتوي على جميع البرامج والمواقع وبرامج الهواتف الذكية، ويمكن ان تكون خاصية البحث في الاتي :

١- البحث في المتن.

٢- بحث المعاني في الكتب.

٣- البحث المباشر.

٤- كراس للملاحظات الجديدة مع قابلية الترجمة على برنامج ويب.

٥- إمكانات الترجمة إلى مختلف اللغات إلى جانب المتن.

٦- إمكان سماع الكتب الصوتية.

٧- إمكان عرض الكتاب مع الصوران وجدت. وغيرها من المزايا.

ما أبرز الموضوعات لهذه المكتبة الرقمية؟

تزخر المؤسسة بموضوعات كتب مختلفة العلوم، إذ تحتوي على المعارف القرآنية، ومعارف نهج البلاغة، معارف الصحيفة السجادية، المعصومين، الحديث والرواية، الأديان والمذاهب، الاعتقادات، الاعمال العبادية، الاخلاق والتربية، المناسبات، الفقه والأحكام والعلوم الحوزوية، العلوم الاكاديمية، سائر العلوم من كتب ومصادر وكتب مصورة ... وما إلى ذلك.

ما آلية التواصل مع الكتاب أو أصحاب المحتوى للنشر في المؤسسة؟

يتم التواصل مع الناشر أو المؤلف مباشرة للحصول على إذن خطي لنشر الكتاب أو أي محتوى آخر، ثم نحصل

في البدء، يا حبذا التعريف بماهية مركز القائمية للأبحاث الالكترونية؟

تم تأسيس مؤسسة القائمية للتحقيقات الالكترونية سنة ٢٠٠٦م، وبدأ نشاط المؤسسة تحت اشراف السيد حسن فقيه رئيس الحوزة العلمية في أصفهان، وإدارة السيد مجيد نبوي وبمساعدة عدد من طلبة الحوزة والجامعيين، وقد تعتبر هذه المؤسسة أول ناشر الكتروني يعمل لتطوير تكنولوجيا المعلومات والوسائط الرقمية.

وتستقي هذه المؤسسة مدخلاتها من مراجع التقليد والعلماء والحوزات العلمية والمؤلفين والمحققين والناشرين ومن الجامعات وجميع المؤسسات العلمية والتحقيقية.

ما أبرز أهداف المؤسسة؟

من أهم أهداف المؤسسة، هو إبراز الجانب المعرفي والعلمي للشيعنة بصورة خاصة وفي موضوعات متنوعة، فعندما نرى ان فكر الشيعة وتراثهم لم يتم نشره في العالم بصورة جيدة ولم يصل إلا لجهات معينة في العالم، فعلمنا حينها أن هناك حلقة مفقودة في إيصال فكر وتراث أهل البيت (عليه السلام)، فقامت مؤسسة القائمية بتحديد هدفها ومهمتها لتصدير أعمال العلماء والمفكرين والمؤلفين الى جميع أنحاء العالم وبلغات متنوعة عن طريق هذه التقنية الالكترونية.

إن هدف المؤسسة هو نشر العلم والمعرفة مجاناً، لاسيما علوم أهل البيت (عليه السلام)، ومن هذا المنطلق قام كثير من المؤلفين والناشرين بعرض كتبهم ومؤلفاتهم على المؤسسة من أجل نشرها على موقع المؤسسة، وهذا ما أتاح لنا فرصة نشر مزيد من الكتب والإصدارات.

ما أعداد عناوانات الكتب التي تحويها المكتبة الرقمية واللغات التي تنشر بها؟

لقد نجحت المؤسسة في نشر أكثر من (٢٢٠٠٠) ألف عنوان والعدد في ارتفاع يومي متواصل. وقد تم نشر الكتب إلى الآن بثماني لغات: العربية



على الكتاب او المحتوى بصيغة word و pdf و صورة للغلاف ثم يتم تحويله إلى نص لرفعه على موقع المؤسسة.

ما خطوات العمل داخل المؤسسة؟

نعمل داخل المؤسسة على تصحيح النصوص، ثم عملية تنقيح النصوص، ثم عرضها وطباعتها، وبعدها يتم نشرها، وكثير من أفراد المؤسسة يعملون بشكل طوعي لا مادي، خدمة للدين والمعرفة والعلم فجزاهم الله خيراً. ما الفائدة الذي يجنيها الباحث من خلال نشره لكتابه على موقع القائمية الرقمي؟

هنالك عدة مزايا لعرض الكتاب سيحصل عليها المؤلف أو الناشر منها :

١- النشر على المستوى العالمي بلا حدود.

٢- انضمام متون الكتب الى برنامج جوجل البحثي.

٣- إحراز احصائيات المطالعة على المستوى العالمي.

٤- تصاعد الرغبة في التعاون لدى الناشرين والمؤلفين.

ما أهم موارد الدعم للمؤسسة؟

نحصل على الدعم المادي عن طريق : المساعدات الشعبية، سهم الإمام من الخمس، والهدايا والتبرعات، النذورات ثلث الأموال ومن الوقفيات.

برأيكم، ما يميز المكتبة الرقمية القائمية من بين قريناتها؟

١- المكتبة القائمية هي أول مكتبة رقمية في إيران مستعينة بالهواتف النقالة.

٢- ان جميع كتب المكتبة تم نشرها بصورة مجانية.

٣- كل كتاب في المكتبة له ثنائي طرائق لعرضه عبر الهاتف الذكية.

٤- تعمل المؤسسة لعرض الكتب بثاني لغات، وهي تسعى الى أن تصل الى ٥٠ لغة.

٥- نعرض في الموقع صورة الصفحة الأصلية والرئيسة للكتاب إضافة الى المتن ورقم الصفحة.

ما أبرز مشاريعكم المستقبلية؟

لنا اهداف عديدة لعل أهمها :

١- نشر جميع كتب أهل البيت عليه السلام رقمياً.

٢- تنزيل أكبر عدد ممكن من النسخ الخطية للاستفادة منها.

٣- تحويل الكتب المخطوطة والكتب الحجرية والتحقيقات إلى كتب رقمية

٤- تسجيل المقاطع الصوتية للكتب المهمة.

٥- ونحن أيضاً مع أي اقتراح من شأنه فائدة المهتمين.

هل اهتمام المكتبة مقتصر على الجانب الديني فحسب؟

المكتبة تضم موضوعات متعددة منها العلمية والإنسانية والتاريخية والاقتصادية فضلاً عن أن العدد الأكبر هو علوم أهل البيت عليه السلام ومعارفهم.

كيف تقيمون عملكم وهل لديكم إحصاءات عن عدد المستفيدين من المكتبة؟

الحمد لله نحن نسعى دائماً لتطوير عملنا وتهذيبه من النواقص، وهدفنا الوحيد هو خدمة المجتمع عبر نشر العلم وإتاحته للجميع، ولدينا تطبيق ويب يسمى لوحة القيادة فهو يقدم لنا إحصاءات دقيقة في أي لحظة عن عدد المستفيدين من المكتبة، وقد تجاوز العدد ٧٠ مليون مستفيد من مكتبة القائمية ومن مختلف بقاع العالم.

وفي الأخير لا يسعنا الا أن نشكر كادر مجلة الولاية الغراء على إتاحة هذا اللقاء للتعريف بهذه المؤسسة الرقمية.

يراع العلماء

■ علماء إفريقيا ودورهم في نشر اللغة

العربية

الشيخ الشريف إبراهيم صالح

الحسيني أنموذجا

الباحث: د. إبراهيم المعظم عبدالله

نيجيريا



علماء إفريقيا ودورهم في نشر اللغة العربية

الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني أنموذجاً

الباحث: د. إبراهيم المعظم عبدالله
نيجيريا

نتناول في هذا المقال السيرة الذاتية لواحد من كبار الشيوخ المشهورين في غرب إفريقيا السمرات، الذين لهم جهود جبارة في نشر ثقافة التعايش والسلام الأهلي بين أبناء الوطن، ونسلط ضوءاً كاشفاً على سعيه الدؤوب في ترويج عادة القراءة والكتابة عبر دعمه المتواصل لحركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، كل هذا بهدف الاطلاع والتعرف على الثقافة العربية والإسلامية في القارة السمراء لتطوير التبادل المعرفي، ولأن التنوع الثقافي يسهم بشكل كبير في تقوية روابط الأخوة بين الشعوب.

خلفية تاريخية:

ظهرت المدارس القرآنية بظهور الإسلام. وكان المجتمع النيجيري كغيره يهتم بهذه المدارس ويرسل بنين وبنات إليها. فيتعلمون شيئاً من القرآن الكريم كما يتعلمون بعض المبادئ الإسلامية.

لقد كان للإسلام أثر كبير في انتشار اللغة العربية في مملكة بورنو وولايات الهوسا الشمالية، حتى باتت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في العديد من الولايات الشمالية في نيجيريا، وذلك منذ سنة ١٨٠٤م إلى ظهور الاستعمار الانجليزي وقد ظهرت المدارس القرآنية بظهور الإسلام. وكان المجتمع النيجيري كغيره يهتم بهذه المدارس ويرسل بنين وبنات إليها. فيتعلمون شيئاً من القرآن الكريم كما يتعلمون بعض المبادئ الإسلامية... ويتعلم البنون والبنات فيها القراءة والكتابة، ويستطيعون بذلك قراءة القرآن وكتابته. وهذه هي الصورة في كل المناطق التي دخل فيها الإسلام في نيجيريا^(١)

إضاءات من حياة الشيخ الشريف:

تتكون من بيت الشريف المكي وحده، وكلهم إما علماء أو قراء أو أئمة أو حكام ولا فرق في ذلك بين أصل الأسرة وفروعها في البلدان المجاورة^(٢) لقد بدأ الشيخ دراسته الأولية على يد والده المرحوم ولزمه حتى توفي فانتقل إلى علماء آخرين، وبعد أن حفظ القرآن وجوّده درس علوم الدراسات الإسلامية ومنها التفسير والحديث وعلومه والفقه وأصوله واللغة العربية وفروعها من نحو وصرف وبلاغة وبديع ومعان، فضلاً عن المنطق والفلسفة، على أيدي أكابر العلماء من بورنو وبعضهم من ولايات أخرى خارجها وبعضهم من خارج نيجيريا، منهم على سبيل المثال: "الشيخ أحمد علي المشهور بأبي الفتح اليرواوي، والشيخ أحمد بن عثمان التجاني الكنوي، والشيخ محمد الحبيب بن محمد العيد الجزائري وغيرهم الكثير".^(٣)

وكان الشيخ إلى جانب إتقانه للغة العربية فهو يجيد اللغة الانجليزية والهوسا والكانوري، ما مكّنه من توسيع آفاقه المعرفية.

لما كان الشيخ الشريف إبراهيم صالح واحداً من أبناء القطر الشمالي، فقد نشأ وترعرع في ولاية بورنو المعروفة بتاريخها العريق وكانت ولاية بورنو إحدى ولاية مملكة كانم بورنو التي تأسست على أكتاف جهود علماء الإسلام في وقت مبكر من دخول الإسلام إلى نيجيريا "ولد الشيخ شريف إبراهيم صالح بن يونس الحسيني البرناوي في قرية "عريديبة" وهي قرية من قرى ولاية بورنو الحالية في جمهورية نيجيريا الفدرالية، في سنة ١٩٣٨م من قبيلة "شوا عرب" التي كانت تنحدر من القبائل العربية التي نزحت من وادي النيل إلى بحيرة تشاد"^(٤)

"ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، نشأ في كنف والده الشيخ محمد الصالح، فحرص على تربيته منذ الصغر، وكانت أسرته كلها



النشاط الثقافي والاجتماعي

للشيخ نشاطات ثقافية واجتماعية على مستوى الوطن وخارجه، فهو بحر معطاء في عالم الفكر والثقافة، وله العديد من المشاركات الفكرية والعلمية في مختلف المجالات الثقافية والمعرفية، ويمكن أن نقف على طرف منها:

"شارك الشيخ ببحوث وأوراق عمل في العشرات من المؤتمرات الدولية والمحلية في كل من: المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية وجمهورية مصر العربية وسورية وجمهورية العراق والمملكة الأردنية الهاشمية والكويت والإمارات وقطر وسلطنة عمان والسودان وليبيا وإيران وآذربيجان وغيرها من الدول العربية والإسلامية"^(٥).

وله أيضاً إسهامات ممتازة في مجال حوار الأديان والتعايش السلمي بين الأمم والشعوب، وقد أجريت له العديد من المقابلات التلفزيونية في القنوات الفضائية العالمية من ضمنها قناة الجزيرة القطرية في سلسلة برنامجها بعنوان: الشريعة والحياة. وتقلد الشيخ العشرات من المناصب الدينية من داخل نيجيريا وخارجها، وكذلك ترأس لجاناً، وصار عضواً في لجان مختلفة لمهام دينية ووطنية، ويمكن الإشارة إلى جملة منها فيما يلي:

- أحد مؤسسي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في نيجيريا.

- يترأس مجلس الفتوى حالياً في نيجيريا.

- أحد مؤسسي جماعة نصر الإسلام.

- عضو هيئة الاستشارية لرئاسة الحكومة الفدرالية

في الشؤون الإسلامية منذ عام ١٩٧٦م.

- مؤسس جماعة النهضة الإسلامية العالمية.

مؤلفات الشيخ:

لقد كان الشيخ من أفضل الكتّاب وأغرزهم عطاء في مجال التأليف والكتابة في نيجيريا خاصة وفي غرب إفريقيا عامة، ومن السهل أن تكشف عن طموحاته في فن الكتابة والتأليف، بالنظر إلى

- عضو مجلس حوار الأديان.

- عضو الأمانة العامة في المجلس العالمي للدعوة

الإسلامية بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية حتى

عام ٢٠١٠م

- رئيس نقابة الأشراف (أهل البيت) بجمهورية

نيجيريا"^(٦)

لقد كان الشيخ من أفضل الكتاب وأغرزهم عطاء في مجال التأليف والكتابة في نيجيريا خاصة وفي غرب إفريقيا عامة، ومن السهل أن تكشف عن طموحاته في فن الكتابة والتأليف، بالنظر إلى العنوانات التي أجادت بها يراعه.

العنوانات التي أجادت بها يراعه، فضلاً عن ذلك فإنه قد شجّع تلامذته وحثهم على الكتابة والتأليف والنشر، فإن سماحته أسس أولى مسابقة للقصة القصيرة وقدم للمتسابقين جوائز وهدايا قيمة، تشجيعاً للفئة الشبابية على ممارسة التأليف والكتابة، وهاهنا سيشير الباحث إشارة خاطفة لنماذج من مؤلفات الشيخ في مختلف ميادين العلم والمعرفة.

أولاً: في مجال التفسير وعلوم القرآن:

- القول المبين في الأحكام المستخرجة من كلام رب العالمين
- تفسير كامل بلغة الهوسا
- الجواهر الحسان في ذكر الإجازة وآداب تلاوة القرآن

ثانياً: في مجال العقيدة وعلم الكلام

- العقيدة المنجية يوم القيامة، مطبوع بمكتبة الجندي بمصر عام ٢٠١٠م
- حقيقة أهل السنة والجماعة مطبوع بمكتبة الجندي بمصر عام ٢٠١٠م
- دلائل التنزيه في إبطال بدع التعطيل والتجسيم والتشبيه، مطبوع بالقاهرة ٢٠٠٥م
- التكفير أخطر بدعة تهدد السلام والوحدة في نيجيريا مطبوع بمصر عدة مرات، ١٩٨٦م

- استنباط الحكم من النص

- الزواج والطلاق في الإسلام

رابعاً: في مجال التصوف والسلوك

- النهج الحميد فيما يجب على المقدم والمريد، مطبوع عدة مرات
- الطريقة إلى معرفة الله
- المواهب الربانية في الأخلاق المحمدية
- القرب الإلهي

خامساً: في مجال الاقتصاد الإسلامي

- البنوك: ضرورتها عائداتها، مطبوع
- الزكاة ومغزاها الديني والاجتماعي
- الإسلام والمعاملات البنكية
- سادساً: في مجال الفلسفة والفكر

ثالثاً: في مجال الفقه والأصول

- القصاص في الإسلام
- الحجاب في الإسلام
- الجهاد في الإسلام مطبوع في لاغوس نيجيريا عام ١٩٩٣م

- الحاجة إلى التجديد في العصر الحاضر
- التحذير من مخاطر أهل التبشير
- ضرورة التجديد وضوابطه

ثمرة المقال

إن عنوان المقال يدل على إسهامات الشيخ في نشر ثقافة القراءة والكتابة والتأليف بين المجتمعات النيجيرية، ولقد نسج على منواله جمع من مريديه وتأثر به جملة من الكتّاب الأكاديميين، منهم على سبيل المثال البروفيسور إبراهيم عمر إلياس المحاضر بجامعة ميدغوري قسم اللغة العربية بنيجيريا، إذ يعد الشيخ من أكبر شيوخ البلاد في مجال دعم اللغة العربية وآدابها عبر تأليفاته المتنوعة باللغة العربية الفصحى

وتوصلنا إلى أن الشيخ قد أسهم بجهوده الجبارة من أجل ترويح وترسيخ دعائم الوحدة والسلام الأهلي في البلاد، ويظهر ذلك جليا في كتابه الموسوم بـ (التكفير أخطر بدعة تهدد الوحدة في نيجيريا)، ومما يبدو من أفكار الشيخ وعناوين مؤلفاته أنه ينتمي إلى إحدى الطرق الصوفية المنتشرة في نيجيريا وشمال إفريقيا: (الطريقة التجانية) المعروفة بالحب والولاء لأهل البيت عليهم السلام ..

١. غلادني، شيوخو أحمد سعيد (الدكتور): حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا: ٥٢.
٢. أبوبكر، علي (الدكتور): الثقافة العربية في نيجيريا: ٨٠.
٣. إلياس، إبراهيم عمر (الدكتور): الكتابة والتأليف باللغة العربية في نيجيريا: الشيخ شريف صالح نموذجاً، نسخة إلكترونية متاحة على شبكة الإنترنت.
٤. المصدر نفسه.
٥. موقع الشيخ إبراهيم صالح
٦. المصدر نفسه.

أروقة الحرم

■ المؤتمر الدولي الخاص بالمحقق
الميرزا النائيني قدس سره



المهدي الكربلائي المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة، وبمشاركة عدد من أساتذة البحث الخارج في الحوزة العلمية، وعدد من الباحثين والمختصين، وقد شهدت الجلسة الافتتاحية حضوراً واسعاً، بمشاركة (٥٠٠) شخصية علمية ودينية وأكاديمية من داخل العراق وخارجه.

ويمثل المؤتمر محطة علمية مهمة لإحياء تراث أحد أعلام الفكر الأصولي في الحوزة العلمية، فالمحقق النائيني لم يكن مجرد عالم، بل مدرسة كاملة في المنهج والتحقيق والتدريس.

وفي إطار فعاليات المؤتمر، قدّم الأمين العام للعتبة العلوية المقدسة، السيد عيسى الخرسان، راية المولى أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحوزة العلمية في قم المقدسة، تسلمها آية الله الشيخ علي رضا أعرافي بحضور عدد من العلماء.

وشهدت الجلسة الافتتاحية عرض توصيات مهمة للمرجعية الدينية، نقلها حفيد العلامة النائيني،

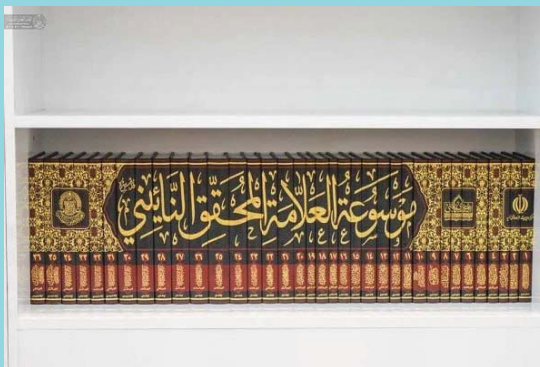
ضمن سلسلة البرامج العلمية المشتركة التي تسعى فيها العتبتان المقدستان العلوية والحسينية إلى دعم الحراك الفكري وإحياء تراث أعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

أقامت العتبتان وبالتعاون مع مديرية حوزات قم المقدسة وأسرة المحقق النائيني، المؤتمر الدولي الخاص بالمحقق الميرزا محمد حسين النائيني في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة، وبتنظيم وجهود مشتركة بين العتبة الحسينية المقدسة والعتبة العلوية المقدسة ومركز الحوزات العلمية في قسم الشؤون الدينية، وبمشاركة علمية ورسمية واسعة.

حيث انطلقت أعمال المؤتمر الدولي الخاص بالمحقق الميرزا محمد حسين النائيني في مدينة النجف الاشرف، وجرت فعاليات افتتاح المؤتمر على القاعة العلوية الكبرى في المجمع العلوي، بحضور الأمين العام للعتبة العلوية المقدسة السيد عيسى الخرسان، وممثل المرجعية العليا الشيخ عبد



إطلاق موسوعة المحقق النائني المؤلفة من (٤٠) جزءاً



الشيخ جعفر النائني، معبراً عن شكره وتقديره لرعاية المرجع الأعلى سماحة السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف) ومتابعته لأعمال المؤتمر.

وأشار الشيخ جعفر النائني إلى أهمية حضور الشخصيات العلمية في تعزيز التواصل بين الحوزات وإحياء التراث العلمي للعلامة النائني، مؤكداً أن المؤتمر مثل فرصة لتبادل الرؤى وتوثيق التعاون بين الحوزات العلمية في النجف وقم.

والمؤتمر يهدف إلى التعريف بشخصية المحقق النائني، للأجيال العلمية وبمكانته الرفيعة، وتبسيط الضوء على دوره الكبير في صناعة شخصيات علمية بارزة من أساتذة وتلاميذ، أسهموا في نهضة حوزة النجف الأشرف.

وقد شهد المؤتمر التكريمي الدولي الخاص بالمحقق العلامة محمد حسين النائني رحمته الله، رفع الستار عن الموسوعة العلمية الكاملة التي تضم ٤٠ مجلداً، استغرق إعدادها عامين كاملين بالتعاون بين الحوزة



في مدينة النجف الأشرف، ففي الصحن الحسيني المطهر وبحضور جمع علمائي كبير عقدت الجلسة الختامية للمؤتمر الدولي الخاص بالمحقق الميرزا محمد حسين النائيني قدس سره، وفي نهاية المؤتمر تم تكريم الباحثين والمشاركين في إنجاح هذا المؤتمر العلمي المهم. وقد أقيمت ثلاث جلسات بحثية في هذا المؤتمر، قدم فيها المشاركون رؤية متكاملة عن نتائج الميرزا النائيني العلمية وجهوده الفكرية، ومن الجدير بالذكر أن هذا المؤتمر يأتي بعد إقامة نسخته الأولى في مدينة قم المقدسة.

العلمية في قم المقدسة وجمع الإمام الحسين العلمي التابع للعتبة الحسينية. وقد كان من أبرز منجزات هذا المؤتمر العلمي هو إطلاق موسوعة المحقق النائيني المؤلفة من (٤٠) جزءاً، إذ شارك مجمع الإمام الحسين عليه السلام لتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام، التابع للعتبة الحسينية المقدسة في تحقيق (٨) أجزاء منها، بوصفها واحدة من أهم الإسهامات العلمية في هذا المشروع. وقد تضمن المؤتمر جلسات بحثية عقدت في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، بمشاركة (٣٠) باحثاً من داخل العراق وخارجه. وكان اختتام فعاليات مؤتمر الميرزا النائيني قدس سره الدولي في كربلاء المقدسة، بعد أن كان افتتاحه

الكاظمون الغيظ

حَثَّ القرآن الكريم المسلمين على التحلّي بالفضائل والسعي في تحصيلها، وساق في إقامة الحجة على الأمة مصاديق واقعية، عبر صفوة من بني البشر، جسّدت تلك الفضائل على الأرض، وهم أهل البيت عليهم السلام، ومن أهمها كظم الغيظ، وعدّها من صفات المحسنين، إذ قال: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، [آل عمران: ١٣٤].

فكظم الغيظ من أسَمَى الفضائل، وتعني تجرّع الغضب والسيطرة عليه، مع الإمكانية في إظهاره بشكل انتقام، أو ثأر في القول أو الفعل، والغيظ هو أشد الغضب، وهي الحرارة التي تحصل في نفس الإنسان حينما يفور دمه، والكظم هو ضبط النفس؛ لأن الكظم في الأصل أهو شد رأس القربة بعد ملئها فاستعير للإنسان إذا امتلأ حزناً أو غضباً والغيظ هيجان الطبع للانتقام بمشاهدة كثرة ما لا ترتضيه النفس بخلاف الغضب فهو إرادة الانتقام أو المجازاة؛ ولذلك يقال: غضب الله ولا يقال: اغتاظ، ويُعدُّ كظم الغيظ من جهاد النفس، ببذل الجهد فيها يخالف هواها ومقتضى طبعها ويتحقق إذا كان عند الشخص إيمان بأمور يقتضي الجري على مقتضاها والثبات عليها مقاومة، بإزاء ما يحبه طبع الإنسان وتشتهي نفسه^(١).

وأكدت روايات المعصومين عليهم السلام ضرورة التخلّق بهذا الخلق العظيم، حتى أن الشيخ الكليني جمع عدداً منها في باب (كظم الغيظ) من كتابه الكافي؛ لما لهذا الخلق من آثار مهمة، تتمثل بالعزة والرفعة، والنجاة من العذاب، ونيل رضا الله، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: ((من كف غضبه كَفَّ الله عنه عذابه))^(٢). وقد جسّد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام هذه الفضيلة الأخلاقية في سيرته العملية بأروع صورها؛ فعُرف بالكاظم، فكان أشهر ألقابه عليه السلام؛ لأنه كان يحسّن إلى من يسيء إليه، وهذه كانت عادته دوماً، وهو ما أثبتته المصادر التاريخية في كظمه لغيظه تجاه أعدائه، وتجاه الذين كانوا يسيئون إليه^(٣).

فقد روي: ((أنَّ شخصاً من أحفاد الخلفاء كان يُسيء إلى الإمام، ويكيل السبّ والشتم لجده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأراد جماعة من أصحاب الإمام الانتقام منه بالهجوم عليه واغتياله، فنهاهم الإمام عن ذلك، وبعد مدة مضى إلى ذاك الرجل، فوجده في مزرعته، وما أن شاهد الرجل الإمام حتى صاح: لا تطأ زرعنا، وانتهى الإمام إليه، وقال له بلطف ولين: كم عُزِمَتْ في زرعك هذا؟ قال الرجل: مائة دينار، فسأله الإمام: كم ترجو أن تصيب منه؟ قال الرجل: أنا لا أعلم الغيب، فقال الإمام: إنما قلت لك: كم ترجو أن يبيئك منه؟ قال الرجل: أرجو أن يبيئني منه مائتا دينار، فأعطاه الإمام ثلاثمائة دينار، وقال: هذه لك، وزرعك على حاله، ثم راح الإمام إلى المسجد، فلما دخل المسجد كان ذلك الرجل جالساً، فقام من موضعه وقرأ هذه الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٤)، فسلام على الإمام موسى الكاظم يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يُبعث حياً.

١- الطباطبائي، الميزان: ٣/ ٣١٢.

٢- الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء: ٥/ ٣٠٧.

٣- ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦/ ١٦٤؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ٣١٢؛ المفيد، الإرشاد: ٢/ ٢٣٣.

٤- البغدادي، تاريخ بغداد: ١٣/ ٣٠.



مسابقة العدد 198



مسابقة علمية خاصة بهذا العدد،
يمكنكم الاشتراك بها إلكترونياً
عبر مسح الباركود أو عبر الرابط:

<https://forms.gle/Qik5Ef4zAdmcRAIF9>

علماً أن أجوبة الأسئلة تجدونها في مقالات هذا العدد
آخر موعد للمشاركة يوم 20 شعبان
هناك هدايا مالية لثلاثة فائزين

تعلن أسماء الفائزين في
المسابقة عبر قناة مجلة
الولاية في التلكرام

